لا
لتعدد الزوجات .. ولكن



أ- فؤاد صالح

لا
لتعدد الزوجات..
ولكن

فؤاد صالح

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

صالح، فؤاد محمد خير

لا لتعدد الزوجات ولكن / فؤاد محمد خير صالح . - الرياض، ١٤٣١هـ،

١٢٨ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ١ - ٤٨٨٦ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- تعدد الزوجات ٢- المرأة في الإسلام أ.العنوان

ديوي ٢١٩,١ ١٤٣١ / ٣١١٧

رقم الإيداع: ١٤٣١ / ٣١١٧

ردمك: ١ - ٤٨٨٦ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أباح لنا الطيبات، وحرم علينا الخبائث، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الذي جعله سبحانه نموذجاً للكمال في خلقه، وسيرته العطرة التي أشرقت على الأرض نوراً وبهاء، وسعادة للناس أجمعين.

وبعد:

فما كنت أحب أن أكتب في هذا الموضوع لكثرة المؤيدين من الرجال، والمعارضات من النساء، ولذلك لن أطرح الموضوع من قبل المشروعية في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإنما من حيث الفهم الخاطئ من بعض المسلمين حيث وضعوا هذه المشروعية في غير موضعها الصحيح، وأساؤوا إلى الإسلام والمسلمين بقصد أو بغير قصد، ونفروا المسلمات من التعدد حتى إن الزوجة المسلمة تقبل من زوجها أن يذهب إلى الحرام ويمارس الزنا، ولا و لن تقبل – حتى ولو كان مصيرها الطلاق- أن يتزوج زوجها بزوجة ثانية، لما لديها من رصيد أسود حول الكثيرات اللاتي عدد أزواجهن، وكيف انقلب حال الأسرة، وأصبح جحيماً لا يطاق، وتشرد الأطفال، بسبب تصرفات

بعض الأزواج التي لا يقرها عقل ولا دين.

لذلك سوف أبحث هذا الموضوع وما فيه من الخفايا والممارسات السيئة من بعض الأزواج والزوجات:

ولماذا شرع الله التعدد؟.

وكيف يكون التعدد على منهاج النبوة؟.

وهل الأصل التعدد أم الاقتصار على زوجة واحدة؟.

هل التعدد يكون فقط من أجل الشهوة الجنسية؟.

أم هناك مقاصد أخرى؟.

سائلاً المولى أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه، وأن يجعلنا ممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه.

فؤاد صالح

الواقع الأليم:

إن نظام تعدد الزوجات نظام إلهي محكم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكل ما يأتينا من الله ﷻ عن طريق القرآن الكريم، أو السنة النبوية المشرفة فهو حق لا باطل فيه، وموضوع كامل لا يعتريه النقص، وإذا كان لتعدد الزوجات مساوئ- كما يذكر- بعض من كتب عن هذا النظام من الغربيين، أو ممن تأثر بأفكارهم المعادية للإسلام، فإن تلك المساوئ ناجمة عن قصورنا وسوء تطبيقنا للنظام.

إن ما يحدث في بعض حالات تعدد الزوجات من خلافات وظلم:

١- كأن يعدد الرجل من أجل إغاظة زوجته الأولى لخلاف وقع بينهما.

٢- ينسى الرجل زوجته الأولى، ويهملها تماماً عند زواجه بالثانية.

٣- إسكان الزوجة الثانية مع الزوجة الأولى مع قدرته على تخصيص منزل مستقل لكل واحدة منهما.

والسؤال هنا: لماذا تريد أن تعدد؟.

كثيرون هم الذين يقولون بأننا نريد أن نعدد اتباعاً لسنة النبي ﷺ، وإذا نظرنا في سيرة زواجه ﷺ علمنا أن تعدد زوجات النبي ﷺ لم يكن لغرض عادي ينحصر في تمتع النفس، وإنما كان كل زواج من زواجه المتعدد يستند على سبب ومصلحة وضرورة وسياسة اقتضته، ورحمة

كبرى من الله ﷻ.

لقد عرف ﷺ قبل البعثة وبعدها بالنزاهة والأمانة والبراءة عن كل ما يكون عليه عامة الناس من عيب أو شهوة فاسدة أو خسة، وهو الذي بعثه الله تعالى إلى العالم أجمع لتتميم مكارم الأخلاق، وقد أسس لعالم البشرية قواعد قدسية يبنى عليها صلاح الفرد والمجتمع الإنساني وكمال شؤون الإنسانية.

وإليك الأسباب لكل زوجه من زوجاته ﷺ:

تزوج النبي ﷺ إحدى عشر امرأة، وقيل اثنتي عشر،هن على الترتيب التالي:

١- خديجة بنت خويلد.

٢- سودة بنت زمعة.

٣- عائشة بنت أبي بكر.

٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب.

٥- أم سلمة هند بنت أبي أمية.

٦- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان.

٧- زينب بنت جحش الأسدية.

٨- زينب بنت خزيمة بن الحارث.

٩- جويرية بنت الحارث.

١٠- صفية بنت حيى بن أخطب.

١١- ريحانة بنت زيد بن عمرو النضرية.

١٢- ميمونة بنت الحارث.

والاختلاف قد وقع حول «ريحانة بنت زيد بن عمرو» هل هي من زوجات النبي ﷺ أم أنها من سرا ريه وإمائه؟

قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ بعد أن عدد زوجات النبي ﷺ وتحدث عنهم ـ: «قيل: ومن أزواجه: ريحانة بنت زيد النضرية، وقيل القرظية، سبيت يوم بني قريظة فكانت صفى رسول الله ﷺ فأعتقها وتزوجها ثم طلقها تطليقة ثم راجعها. وقالت طائفة: بل كانت أمته وكان يطؤها بملك اليمين حتى توفى عنها فهي معدودة في السراري لا في الزوجات.

والقول الأول اختياره الواقدي ووافقه عليه شرف الدين الدمياطي، وقال: هو الأثبت عند أهل العلم، وفيما قاله نظر فإن المعروف أنها من سراريه وإمائه، والله أعلم» .

فقد وافق الأمام ابن القيم الجوزية في أن «ريحانة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من السراري والإماء كل من ابن هشام، والطبري، والذهبي، وابن كثير.

عدم تقيد النبي ﷺ بتحديد عدد الزوجات:

١- لم يتقيد النبي ﷺ بتحديد عدد زوجاته؛ لأنه جمع هذا العدد من الزوجات قبل نزول سورة النساء التي قيدت العدد بأربع، وقد استثناه الله من هذا التحديد، وأختصه بهذا الاستثناء، غير أنه أمره أن يخير زوجاته، فمن شاء أن تفارقه طلقها ومتعها، ومن شاءت أن تبقى عنده أمسكها، وجاء هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: ٢٨- ٢٩]، ولما خيرهن ﷺ اخترن البقاء معه.

٢- إن الله ﷻ حرم على النبي ﷺ طلاق إحدى نسائه بعد أن اخترن البقاء معه، ومنعه الزواج بغيرهن وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾ [الأحزاب: ٥٢].

٣- إن الله أكرم نساء النبي ﷺ بعد أن اخترن البقاء معه فاعتبرهن أمهات للمؤمنين بقوله تعالى ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ

﴿أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦]، وبذلك امتنع عليهن الزواج بعد وفاة النبي ﷺ؛ إذ أصبحن أمهات للمؤمنين. وكذلك ورد النهي عن الزواج بهن في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ [الأحزاب:٥٣].

ولم يبقَ من نساء النبي ﷺ بعد وفاة ثلاث منهن في حياته سوى تسع، كانت ست منهن متقدمات في السن، وقد آثرن البقاء ليمضين ما تبقى من حياتهن في جواره ﷺ[1].

حكمة تعدد زوجات النبي ﷺ

مما يجب أن يكون الإنسان مؤمناً به أنه لم يكن تعدد زوجات النبي محمد ﷺ حباً بالإكثار من النساء، وإنما كان لكل زواج هدف إنساني أو اجتماعي أو لتقرير حكم شرعي.

١- زواجه من خديجة بنت خويلد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب:

وهي أول زوجة للنبي محمد ﷺ، وهي من أشراف سيدات مكة، وكانت أعقل العقلاء، وفضلى الفواضل، حتى كانت تلقب من عهد الجاهلية بالطاهرة. تزوجها النبي ﷺ استجابة لخطوبتها له، بعد ما رأت من تجارته بمالها إلى الشام من ربح عظيم غير مسبوق، وسمعت من

---

(١) الزواج عند العرب للدكتور عبد السلام الترمانيني ص٢٥٢-٢٥٣.

غلامها ميسرة - الذي رافقه في السفر- ما شاهده بشأنه ﷺ من علامات تدل على أن له شأناً عظيماً في قريب من الزمن.

تزوجها الرسول الكريم في أول شبابه وهو ابن خمس وعشرين سنة، وهي ثيب بنت أربعين سنة.

وكان النبي ﷺ موفقاً في موافقته على هذا الزواج الميمون، فقد نظر إلى مكانتها من قومها وموقفها في عشيرتها وعفتها، فتزوجها وبقي معها وعاشرها معاشرة الأزواج الأبرار، إلى أن بعثه الله نبياً وهادياً ومبشراً ونذيراً.

وإن من توفيقه في زواجها أن كان في ظرف يحتاج فيه امرأة عاقلة حكيمة تدرك سمو المهمة العليا التي اختاره الله لها، وتشد أزره، بما كان لها من مكانة رفيعة في قومها.

وقد صدق حدسه ﷺ فيها فكانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أول من استجاب له وآمن به، فصدقته وآزرته، وكان لتصديقها أثر في عشيرتها وقبيلتها، ومكثت تؤازره وتنصره.

عاشت السيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة، ورزقها الله عَزَّوَجَلَّ منه البنين والبنات، أولهم «القاسم»، وبه كان يكنى، مات طفلاً، وقيل عاش إلى أن ركب الدابة، وسار على النجيبة، ثم «زينب» وقيل: هي أسن من القاسم، ثم «رقية، وأم كلثوم، وفاطمة».

وقد قيل في كل واحدة منهن إنها أسن من أختيها، وقد ذكر عن ابن عباس أن رقية أسن الثلاث، وأم كلثوم أصغرهن، ثم ولد له «عبد الله»، وهل ولد بعد النبوة أو قبلها، فيه اختلاف، وصحح بعضهم أنه ولد بعد النبوة، وهل هو الطيب، والطاهر أوهما غيره؟ على قولين، والصحيح أنهما لقبان له، والله أعلم[1]. فقد رزق ﷺ منها جميع الأولاد ماعدا «إبراهيم»، فهو من مارية القبطية إحدى سراريه.

ظلت السيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وفية له كل الوفاء، فبلغت بذلك منزلة عند الله ورسوله، حتى بلغ من منزلتها أن يأتيها جبريل بالسلام من ربها من فوق سبع سموات.

روي أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ فقال له: «**أقرئ خديجة السلام من ربها» فقالت خديجة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **- بعد أن بلغها السلام - الله السلام ومنه السلام، وعلى جبريل السلام»** [رواه النسائي في السنن الكبرى، والطبراني في المعجم الكبير].

وقد بشرها الله عز وجل على لسان نبيه ﷺ ببيت في الجنة فقال أبو هريرة رضي الله عنه: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: (**يا رسول الله هذه خديجة قد أتت ومعها إناء إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولانصب**)

---

(١) زاد المعاد لابن القيم الجوزية ١/ ٢٥.

[رواه البخاري ومسلم].

وقد روي عن علي أبن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ**) [البخاري ومسلم]، فهي أفضل أمهات المؤمنين، وأفضل نساء أهل الجنة.

لقد بذلت جميع مالها في سبيل الله، وصبرت لمّا قاطع المشركون النبي ﷺ ومن معه من المسلمين، وحاصروهم في الشعب، ومنعوا عنهم الطعام والشراب، والمأوى والسكن، واستمر الحصار ثلاث سنوات. كان ﷺ يحبها حباً جماً.

قالت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ((ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة، من كثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها، قالت: وتزوجني بعدها بثلاث سنوات وأمره ربه ﷻ أو جبريل عليه السلام أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب). [رواه البخاري].

لقد كان في زواج النبي ﷺ بخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مصلحة تتم لصالح القوم مرة، ولصالح الدعوة مرة أخرى.

أما لصالح القوم فلأن خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت من بني أسد بن عبد العزى سيدة معروفة بصلاح حالها، ذات شرف ومال، وكانت لها مكانة مرموقة بين قبائل قريش، فكانت هذه المصاهرة مما يزيد القوم عزة وقوة في كل من الجانبين.

أما كون هذا الزواج لصالح الدعوة، فإن السيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت أول من آمنت بالنبي ﷺ من أهل بيته، ثم قامت تبذل جهودها في نصرته ونشر دعوته، وكان ذلك بما لها من نفوذ وجاه في عشيرتها بني أسد.

كما أنها وقفت بجانبه وشجعته، وأبعدت الروع عنه حينما نزل إليه الوحي لأول مرة، وذهابها به عليه الصلاة والسلام إلى ورقة بن نوفل ابن عمها.

لقد توفيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قبل الهجرة بثلاث سنين، وعاشت حرة كريمة، وماتت مؤمنة رحيمة بعد أن بلغت من العمر خمسة وستين عاماً، وقد أكرمها الرسول ﷺ وأحبها في حياتها، وأعزّها بعد مماتها حتى بلغ من حبه لها أن أكرم صديقاتها ومن يعزّ عليها.

٢- زواجه من سودة بنت زمعة من بني عامر بن لؤى من قريش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

بعد وفاة السيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تزوج النبي ﷺ سودة بنت زمعة القرشية، وكانت من قبل زوجة للسكران بن عمرو بن عبد شمس القرشي، فأسلما معاً، وهاجرا معاً إلى الحبشة، ثم عادا إلى مكة وتوفي السكران، ولا مأوى لها بعد موته إلا أن تعود إلى أهلها، وكانوا مشركين فيردونها عن الإسلام، ويزوجونها من كافر مشرك، فخطبها

رسول الله ﷺ وتزوجها، وحفظ بذلك عليها دينها، وكانت قد قاربت الستين من العمر.

لقد تزوج النبي ﷺ سودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رغم كبر سنها لكفاف ضرورة الحياة، ومصلحة الدعوة، فكان اختيارها حفظاً لها عن ذلك الخطر- أي خطر أهلها- وصيانة لشرفها وكرامتها، مع رعاية لجانب زوجها المتوفى الذي أبلى في سبيل الله والإيمان برسوله بلاء حسناً(١). تزوجها النبي ﷺ ليؤلف بهذا النكاح قومها بني عبد شمس أعداء الرسول ﷺ وأعداء بني هاشم. فتم له ما أراد، فخفف القوم من عداوة الرسول ومخاصمته، وأسلم كثير منهم، ودخلوا في دين الله ﷻ، إعجاباً بالدعوة الإسلامية، وإيقاناً بها، وحباً وإعجاباً بصاحب الدعوة ومروءته، وتقديراً لعظيم خلقه وجميل وفائه، فلو كان للرسول ﷺ شي من المآرب الشهوانية في زواجها – لاستعاض عنها وهي الأرملة المسنة التي قاربت على الستين من عمرها- ببكر عذراء من بنات قريش المؤمنات، ولكنه ﷺ أسمى من ذلك وأجل، وكل همه ﷺ كان منصرفاً لنجاح الدعوة، ودعم الدين وتقويته في قلوب الناس أجمعين(٢).

لقد مكثت سودة مع النبي ﷺ، زهاء خمس سنين إلى أن تزوج بالسيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في السنة الأولى من الهجرة. ثم توفيت سنة

---

(١) المرأة وحقوقها في الإسلام لمبشر الطرازي الحسيني ص ٢١٤، ٢١٥.

(٢) زوجات النبي وحكمة تعددهن للأستاذ محمد محمود الصواف ٢٦،٢٧.

ثلاث وعشرين في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، وقيل في خلافة سيدنا معاوية ﷺ.

٣- زواجه من عائشة بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

هي عائشة الصديقة بنت الصديق، فقد كان أبوها من أوائل الذين أسلموا، وقد ألقى الله حب أبي بكر في قلب الرسول ﷺ فأحبه الرسول حباً جماً.

سئل النبي ﷺ: من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة، ومن الرجال؟ قال: أبوها، وكان النبي ﷺ يقول: رحم الله أبا بكر، زوجني ابنته، وحملني إلى دار الهجرة وأعتق بلالاً من ماله [رواه الترمذي]، فقد كان زواجاً مباركاً فوق التصور، مع ما فيه من تقدير لوالدها الصديق، ورعاية لحقوقه، ذلك لأن أبا بكر ﷺ أول من آمن من غير أهل البيت، وهو الذي دعا رجال قريش إلى الإيمان برسول الله ﷺ فآمن منهم من آمن.

لقد أصبح هذا الزواج عزا للسيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقرة عين لها وكرامة لأهلها وأقاربها. ذلك لأن زواجها كان من عند الله ﷻ، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: (**أريتك في المنام ثلاث ليال يجيء بك** «أي بصورتك» **الملك في سرقة** «قطعة» **من حرير فقال لي هذه امرأتك. فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنت هي، فقلت:**

إن يكن هذا من عند الله يمضي» [رواه البخاري ومسلم].

لقد حفظت السيدة عائشة لصغر سنها أكثر سنة الرسول ﷺ وأحاديثه، وتُعدّ في مقدمة من روي عنهم حديث النبي ﷺ، وهي البكر الوحيدة من بين جميع نسائه اللائي دخل بهن عليه الصلاة والسلام. ومات الرسول الكريم وهو عنها راض، ولها داعٍ، حتى مات عندها ودفن في حجرتها. لقد توفيت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سنة ثمان وخمسين هجرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعن أبيها.

٤- زواجه من حفصة بنت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

كانت السيدة حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قبل أن تتزوج النبي ﷺ تحت زوجها خُنيس بن حذافة السهمي، وهو من أشد أنصار الرسول ﷺ وقاتل في سبيل الله حتى استشهد في غزوة بدر، فعرضها عمر رضي الله عنه على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فسكت، ثم عرضها على عثمان بن عفان رضي الله عنه، فسكت هو أيضاً، حتى بث عمر أسفه لرسول الله ﷺ، فقال له: (**يتزوج حفصة من هو خير لها من أبي بكر وعثمان**). فلم يضنَّ النبي ﷺ على حامي دعوته والمجاهر بها على رؤوس الناس، فشرفه بها كما شرف من قبل صديقه أبي بكر رضي الله عنه، فلقي عمر أبا بكر بعد ذلك فقال أبو بكر: لا تجد عليّ، فإن رسول الله ﷺ ذكر حفصة، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، ولو

تركها لتزوجتها.

وكان زواج النبي ﷺ من حفصة سنة ثلاث من الهجرة على القول الراجح، ولولا الذي فعله النبي ﷺ من الزواج بحفصة لكانت حسرة في قلب عمر، ولوعة تعتلج في نفسه وصدره، فما أكرم سياسته ﷺ، وما أعظم وفاءه للأصحاب المخلصين.

لقد أقر النبي ﷺ عين وزيره الأول، وصاحبه في الغار، وتزوج حفصة أيضاً ليقرّ عين وزيره الثاني، ويسوي بينهما في شرف المصاهرة، ومتانة الصحبة، ولم يكن في الإمكان على صدقهما وإخلاصهما وجهادهما في هذه الحياة بشرف أعلى وأنبل وأكرم من هذا الزواج ومن تلك المصاهرة.

لم تكن السيدة حفصة ذات بهاء وجمال، ولا ناهدة عذراء، بل تزوجها النبي ﷺ وهي أرملة، وقد بلغ ﷺ آنذاك الخامسة والخمسين من عمره، فهذا دليل على إعراضه عن متاع الدنيا، ودأبه المتواصل في سبيل خدمة الدين، ومثل صالح ناطق بحسن سياسته وكياسته، إنه زواج يدل على البر والرحمة وبعد النظر وسمو الخلق، بعيدٌ كل البعد عن الشهوة وحب النساء والبعد عن مباهج الدنيا.

٥- زواجه من زينب بنت خزيمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

تزوجها النبي ﷺ بعد زواجه بحفصة بنت عمر بن الخطاب ﷺ،

وهي المؤمنة البارة، الصالحة التقية، المجاهدة في سبيل الله، الصابرة في البأساء والضراء.

كانت تحت زوجها عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وهو الذي بارز عتبة بن ربيعة في غزوة بدر الكبرى حتى قتله، وجُرح عبيدة بن الحارث حتى بشره رسول الله ﷺ ببشرى عظيمة بقوله : **(أشهد أنك شهيد)** [ذكره في البداية والنهاية، وقال: رواه الشافعي] حتى مات ﷺ، وكانت السيدة زينب بنت خزيمة بلغت من العمر ستين عاماً، ومع هذا تزوجها الرسول ﷺ، ولم تعمر عند رسول ﷺ إلا عامين فقط، ثم ماتت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

أيكون في هذا الزواج أي أثر للشهوة والهوى مع زوجة في الستين من عمرها، فهو زواج شريف غايته نبيلة، وهو العفاف والعظمة والرحمة والفضل والإحسان من رسول الإنسانية الأكبر، الذي جاء رحمة للعالمين ونوراً للناس أجمعين، وصدق فيه ربنا ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَـٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧].

لما علم المصطفى ﷺ بحال هذه السيدة العظيمة واستبسالها وصبرها وأنه ليس لها عائل بعد استشهاد زوجها يحميها ويدافع عنها. أراد رسول الرحمة أن يجزيها على إسلامها وجهادها وصبرها ومصابها خيراً، فخطبها لنفسه، وآواها إليه بعد أن انقطع عنها الناصر والمعين، وكافأ زوجها وهو في قبره.

لقد خابت مساعي الطاعنين، ومساعي خصوم الإسلام، وخابت آمالهم وأحلامهم في أن ينالوا من رسول الله ﷺ، إن يقولون إلا كذباً وظناً، وإن ظنهم الفاسد لا يغني من الحق شيئاً.

٦- زواجه من هند بنت أبي أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

هي أم سلمة المخزومية، كانت تحت زوجها وابن عمها عبد الله بن عبد الأسد المخزومي، وهو من السابقين الأولين للإسلام، أسلما معاً وهاجرا إلى الحبشة معاً، ثم عادا إلى مكة، وهاجرا معاً إلى المدينة، وفي موقعة أحد قتل زوجها بسبب جرح كبير قضى عليه.

وكانت أم سلمة عندها من الأولاد يوم مات زوجها أبو سلمة أربعة هم: برة، وسلمة، وعمر، ودرة.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من مسلم تصيبه مصيبة فيسترجع – أي يقول- إنا لله وإنا إليه راجعون – ويقول: اللهم أجرني في مصيبتي، واخلفني خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها) [رواه مسلم]، فقالت في نفسها، مَنْ خير من أبي سلمة؟ رجل نال الصحبة، وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ؟!.

ولكنها استرجعت وقالت ما أوصى به الرسول ﷺ، فأخلف الله لها خيراً من مصابها، وأكرمها برسول الله ﷺ، فأراد النبي ﷺ أن يكون عوناً لها ولأيتامها، فلما خطبها قالت: إني مسنة، واني أم أيتام، وإني شديدة

الغيرة، فأجابها النبي، بقوله: (**الأيتام أضمهم إلي، وإني أكبر منك سناً، وأدعو الله أن يذهب عن قلبك الغيرة**).

فتزوجها النبي ﷺ، بعد موافقتها، وقام على تربية الأيتام حتى أصبحوا لا يشعرون بفقدان الأب إذ عوضهم أباً أرحم من أبيهم، فأي شهامة تلك وأي مروءة وأي وفاء وأي رحمة ؟ أهي شفقة ورحمة من رسول الله أم هي شهوة وحب نساء ؟ أهي وقوف بجانب أرملة ضعيفة مسكينة وتربية أيتام ؟ أم جريا وراء الهوى ؟ انه أروع مثل للوفاء والكمال الإنساني.

٧ – زواجه من زينب بنت جحش الهاشمية رضي الله عنها:

كانت السيدة زينب تحت زوجها زيد بن حارثة بطل موقعة مؤتة، وزيد هذا هو الغلام الذي وهبته السيدة خديجة للنبي ﷺ، وقد أعجب النبي ﷺ بظرفه وأدبه، ثم أعتقه وتبناه على ما هو المعتاد في ذلك الوقت، وكان زيد ممن آمن بالله ورسوله في أول الدعوة، فكانت له مكانة مرموقة عند النبي محمد ﷺ، ومكث زيد يدعى زيد بن محمد طوال بقائه مع الرسول ﷺ حتى نزل القرآن في ذلك فقال الله عز وجل:

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ

أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ [الأحزاب:٥]، وعاش زيد بن حارثة مع زوجته زينب عيشة كلها كدر، والله ﷻ يعلم أنهما لا يتفقان على بقاء هذه الزوجية، بسبب التفاوت في المكانة، والاختلاف في النسب، فمنذ أن أرسل النبي ﷺ إلى زينب يخبرها بزواجها من زيد وهي غير راضية عن هذا الزواج، حتى نزل قول ربنا عز وجل ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ [الأحزاب:٣٦]، فبعد نزول هذه الآية أطاعت زينب، وقالت للنبي ﷺ: قد أطعتك فاصنع ما شئت، فزوجها النبي ﷺ زيداً، ودخل عليها، فكانت تغلظ لزيد في القول وتتعاظم عليه بالشرف والمنزلة، فيذهب زيد إلى النبي ﷺ شاكياً منها، ويستأذن النبي في طلاقها، فيوصيه النبي ﷺ بإمساكها، وهو يعلم أنه لابد له من طلاقها، وأن الله عز وجل سيأمره بالتزوج بها لكي يبطل بدعة التبني، وتجويز لنكاح أولاد الأدعياء. ولكن النبي لم يكن يظهر هذا لزيد، ولا لغيره من الناس خشية أن يقولوا: إن محمد تزوج امرأة ابنه المتبني، فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب:٣٧].

فلما طلقها زيد بن حارثة بمحض إرادته واختياره، زوجها الله للنبي محمد ﷺ من فوق سبع سموات، فقال ﷻ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، ثم عللت الآية هذا الزواج فقالت: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾[الأحزاب: ٣٧].

فبعد نزول هذه الآية الكريمة بطلت عادة التبني وحل الزواج بزوجات الأدعياء.

فقد كان زواج النبي من زينب لغرض تشريعي وغاية اجتماعية، ألا وهي إبطال عادة التبني، وتم ذلك بقضاء الله ﷻ، وبوحي أنزله الله على النبي ﷺ.

ورغم ذلك، يقول خصوم الإسلام وأعداء النبي ﷺ عن هذا الزواج قول الزور والافتراء والكذب، وحاشا للنبي ﷺ أن يكون زواجه منها شهوة وهوى.

فقد كانت السيدة زينب تفتخر بهذا الزواج، وتقول لأزواج النبي ﷺ: «زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات»

٨- زواجه من أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

كانت السيدة رملة تحت زوجها عبد الله بن جحش، وقد هاجرت مع زوجها إلى الحبشة، وهناك تنصّر زوجها عبد الله بن جحش، فوقفت

وقفة المرأة المؤمنة بالله ورسوله، وانفصلت عنه، وبقيت في الغربة بغير عائل يعولها ويرعاها، فلاقت في غربتها الشدائد، وجابهت المتاعب والمصاعب بالصبر والجلد، وهي خائفة من بطش أبيها بها، وهو فحل قريش وكبيرها، وسيدها المطاع، كما أنها رهبت نقمة أمها عليها، وأمها هي «هند» عدوة رسول الله الأولى ومخاصمته العنيدة.

لقد أخاف أم حبيبة بطش قومها وعشيرتها وشماتتهم بها، هذه المخاوف جعلت الكرب يشتد على هذه المؤمنة الصابرة فلما علم رسول الكريم ﷺ بخبر هذه المرأة وحالتها المحزنة، رق قلبه الكبير، كيف لا ! وهو نبي الرحمة. وأراد ﷺ أن يجزيها على صبرها، وثباتها واستقامتها وجهادها خير الجزاء.

فكتب النبي ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة ليزوجه إياها، فأبلغها النجاشي ذلك ثم أكرمها، ولطف بها، وأصدقها على النبي ﷺ أربعمائة دينار مع هدايا نفيسة، ولما عادت إلى المدينة تزوجها النبي ﷺ وتولى عقد الزواج عثمان بن عفان ﷺ، وكان هذا الزواج مباركاً لبني أمية، فلانت قلوبهم القاسية للإسلام، وبعد مدة أسلم كثير منهم، لقد تزوج النبي ﷺ أم حبيبة وقد بلغت من الكبر عتياً، تزوجها رحمة ورأفة بها، وكان هذا الزواج فيما بعد من العوامل الأساسية التي دفعت أبا سفيان إلى الدخول في الإسلام في العام التالي عام الفتح، وخفف به الرسول عداوة بني أمية، فهل بعد ذلك يكون هناك مجال للحاقدين وخصوم

الإسلام أن يطعنوا في هذا الزواج الطيب، ويزعمون أنه زواج للهوى والشهوة؟ انه دليل على عظمة صاحب الرسالة محمد ﷺ، وعلى بعد نظره، وثاقب رأيه، وكريم عطفه، ورحمته بالمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات.

٩- زواجه من جويرية بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

كان أبو السيدة جويرية سيد بني المصطلق، وهو الذي جمع جموعاً كثيرة ليحارب النبي ﷺ، ولكنهم انهزموا، وأسر منهم من أسر، وكانت السيدة جويرية من اللائي وقعن في الأسر في سهم ثابت بن قيس.

وقد قتل زوجها من قبل في يوم المريسيع- اسم ماء لقبيلة خزاعة- وترك هذه المرأة أرملة حتى وقعت في الأسر بين المسلمين.

كاتبت السيدة جويرية ثابت بن قيس على تسع أوراق من الذهب ليعتقها، فلم تستطع في ظروفها الراهنة، فجاءت إلى رسول الله ﷺ وعرضت قصتها عليه فقالت: يا رسول الله، أنا بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس، فكاتبته على نفسي فجئتك أستعينك على أمري، فقال لها رسول الله ﷺ: (**فهل لكِ في خير من ذلك؟**)، قالت: وما هو يا رسول الله؟ فأجاب ﷺ: (**أقضي عنك كتابتك وأتزوجك**)، فقالت في

فرحة غامرة: نعم يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: (**قد فعلت**).

فلما رأى المسلمون ما فعله رسول الله ﷺ مع جويرية بعد أن كانوا قد اقتسموا بني المصطلق، قالوا: إن أصهار الرسول لا يسترقون، فاعتقوا ما في أيديهم من الأسرى، ونتيجة لذلك تأثر بنو المصطلق فأسلموا جميعاً، وحسن إسلامهم.

وكان لهذا الزواج من جويرية أفضل الآثار، وأحسن النتائج، فما كانت امرأة أعظم بركة على قومها من جويرية، أعتق في سببها أكثر من مائة من أهل بيت بني المصطلق. وسمع أبوها حديثاً للنبي ﷺ عما جاء فيه من فداء ابنته، فصاح بصوت جهير: «أشهد أن لا اله إلا الله وأنك محمد رسول الله».

• ١٠- زواجه من صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها:

والدها حيي بن أخطب زعيم بني النضير واليهود، وقعت أسيرة بعد قتل زوجها في غزوة خيبر، فأخذها دحية بن خليفة الكلبي في سهمه، إلا أن أهل الرأي من الصحابة الكرام اجتمعوا فقالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إنها سيدة قومها لا تصلح إلا لك، فاستحسن النبي الكريم رأيهم، وأبى أن تزل هذه السيدة الشريفة في قومها بالرق والعبودية عند من تراه دونها في المكانة فاصطفاها النبي وأعتقها وتزوجها، ووصل بهذا الزواج قومها الذين دأبوا على مخاصمته طوال حياتهم.

إن الحكمة من هذا الزواج هي رغبة النبي ﷺ في تحريض اليهود على اعتناق الإسلام، أو على الأقل تخفيفهم من عداوتهم للإسلام ومكرهم بالمسلمين.

لم تكن السيدة صفية جميلة، بل كانت قصيرة، وقد عيرتها عائشة وحفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقالتا لها: نحن أكرم على رسول الله ﷺ منك، فذكرت صفية ذلك لرسول الله ﷺ فقال لها: (**ألا قلت: وكيف تكونان أكرم مني، وزوجي محمد، وأبي هارون، وعمي موسى؟**).

فأقصرتا عن تعييرها بعد ذلك، وفيها نزلت الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات:١١][1]، أليس في هذا الزواج الحكمة والسداد والهدى والرشاد، لقد جازى الرسول الكريم هذه المرأة الصادقة خير الجزاء على إسلامها وإيمانها.

١١- زواجه من ميمونة بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

كانت السيدة ميمونة تحت مسعود بن عمرو الثقفي في الجاهلية ففارقها، وتزوجها أبو رهم وتوفي عنها، فتزوجها النبي، وهي آخر

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص ٢٢٤.

زوجاته لم يتزوج بعدها، تزوجها النبي ﷺ سنة سبع من الهجرة، وقالت عنها السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أما أنها كانت من أتقانا لله، وأوصلنا للرحم.

كانت ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في غزوة تبوك في صفوف المجاهدين تسعف الجرحى، وتواسي المرضى، وتجاهد في سبيل الله حق الجهاد. وعندما تزوجها النبي ﷺ كانت قد بلغت من الكبر عتياً.

إن الحكمة من زواجها ربط صلته ﷺ بأقاربه المصاهرين لأقاربها، ونشر أحكام الدين والدعوة، فهل نجد أثراً للهوى أو الشهوة في مثل هذا الزواج الكريم؟ إنه الفضل والمروءة، والبر والإحسان والعطف والرحمة والسياسة والكياسة، كل ذلك دعاه إلى مثل هذا الزواج النبيل الذي دل على بعد نظر الرسول ﷺ، وسموّ قصده، وجميل إحسانه بالمؤمنات.

فحاشاه ثم حاشاه مما يقول خصوم الإسلام، فهو ﷺ المعصوم، والرسول الذي كمله الله، وختم به النبوات والرسالات، وأنى لخاتم الأنبياء والرسل أن يوصف بمثل هذه الصفات، وهي صفات نقص، والرسول قد رباه الله وجعله الإنسان الكامل، والمثل الكامل في الوجود وشهد فيه بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

وهكذا نرى أن تعدد زوجات النبي ﷺ كان في بعضه إنسانياً،

كزواجه بنساء فقدن أزواجهن ومعيلهن، فضمهن إليه، وقام على أمرهن، كالسيدة سودة بنت زمعة، والسيدة هند أم سلمة المخزومية، والسيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ جميعاً، وكان في بعضه الآخر وفاء بحق صاحبين جليلين، وهما أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وكان في بعضه أيضاً اكتمال التشريع فقد تزوج النبي ﷺ بعدة نسوة في وقت واحد لأغراض تشريعية كإبطال عادة التبني التي كانت متبعة في الجاهلية، كما حدث مع زيد بن حارثة وزوجته زينب بنت جحش.

وأيضاً المساهمة الكبرى في رواية السنة، فأمهات المؤمنين قد ساهمن مساهمة فعالة في رواية كل قول سمعنه، وفي نقل كل فعل رأينه من النبي ﷺ.

كما ترتكز الحكمة من هذا التعدد أيضاً في انتشار التعليم حيث إن نصف المجتمع نساء، وإنهن بحاجة إلى الثقافة والتعليم كالرجال سواء بسواء، وإن واحدة أو اثنتين أو ثلاثة لا يمكن أن يقمن بدورهن في إرشاد النساء وتعليم البنات في المجتمع الإسلامي الجديد.

لذلك فالأمر يتطلب أن يقوم بعض نسوة في أداء رسالتهن كمرشدات ومعلمات حتى يتعلم النساء كل ما ينفعهن في أمر دينهن ودنياهن، ولا سيما الأمور التي يستحين أن يسألن عنها رسول الله ﷺ كمسائل الحيض والنفاس، وقضايا الجنابة والطهارة وغيرها.

ومن الحكمة أيضاً أن اكتسب النبي ﷺ من التأييد بسبب زواجه من قبائل قريش، وأصبحوا يدخلون في الإسلام تباعاً، ويعتنقون الإسلام طواعية واختياراً، وينبغي ألا يغيب عن البال أن النبي ﷺ بشر، وتسري عليه طبيعة البشر، ولكنه لم يخضع لأهواء هذه الطبيعة، بل أوتي القدرة على كبحها، لينصرف إلى المهمة العليا التي اختير من أجلها.

هذه هي حياة النبي وأسباب زواجه ﷺ من نسائه، فهل الذين يريدون أن يعددوا فعلاً أسوة بالنبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور:٢٦]،

هذه القاعدة القرآنية تعني أن الطيبين للطيبات والخبيثين للخبيثات أي بأرواحهم، وتؤيده القاعدة العامية: الطيور على أشكالها تقع، وتؤيدها القاعدة الروحانية في بعض مدارس علم النفس المتأخرة: إن الأرواح المتشابهة تلتقي، والحديث النبوي يقول:

(الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ).[صحيح البخاري].

أنا استحق زوجتي هذه، وهي تستحقني،

زوجتي تستحقني، وأنا أستحقها.

أنتما في نفس المستوى الروحاني، ولذا تجاذبتما وفقاً للقاعدة القرآنية والعامية والروحية.

لو تركت هذه الزوجة وأنت نفسك لم تتغير، فسوف تحصل على زوجة مثلها تماماً.

ولو تزوجت ألف مرة، هذا مستواك الروحاني، والأرواح تتجاذب.

قد تتزوج امرأة أغنى أو أصغر أو أجمل أو أكثر جاهاً، أو أعمق ثقافة، لكن مستواها الروحاني (النضج) من ناحية الحب والمعاملة سيكون نفسه، يعني ستنتهي إلى نفس النتيجة.

هناك حل آخر، وهو الانفصال، إذا لم يكن قرارك التغيير وتحسين طرق التعامل مع بعضكما، فإن الانفصال أنسب.

وهنا لابد من كلمة عن الطلاق.

لم يشرع الله الطلاق إلا لحكمة منها:

أن الطلاق حق من حقوق الحرية الشخصية، فليس الزواج سجناً، بل هو عقد اتفاق إن لم يعمل بشروطه كان حله أولى، وقد يكون الطلاق في كثير من الأحيان رحمة، فقد رأينا في حياتنا زيجات عاشت في المعاناة والألم عقوداً من السنين لماذا؟:

-من أجل الأولاد.

- من أجل السمعة.

- من أجل الأهل.

وغير ذلك من الأسباب، لكن الأولاد أكثر معاناة اليوم، كما أنهم قد أخذوا رسالة مبكرة ومثلاً حياً عن الزواج، والناس كلهم يعلمون أنهم غير سعداء، وأن حياتهم سلسلة من المعاناة، والأهل كانوا سيتداركون الأمور فيما بعد ويتقبلون الوضع.

كلاهما في غرفة مستقلة.

أولادهما في المعاناة النفسية والاجتماعية.

والأهل غير راضين عن الوضع.

إذاً لماذا يستمر الزواج.

قرر من الآن:

هل تريد الاستمرار؟

إذا كان الجواب لا، فلا تنتظر، صارح الزوجة والأهل، وليرحل كل شخص في سبيله.

ولكن تذكر أن هذا نصيبك، وما تستحقه لن تحصل على أفضل منها البتة.

اللهم إلا إذا قررت أن تغير من سلوككَ أو سلوككِ، إذا قررتما ذلك فإني أنصحكما أن تتغيرا معاً، وسوف تكون النتائج التي تبهر.

التغيير بالقوة يموت؛ لأنه ليس له مكان في القلوب.

العنف مع الزوجة لا يولّد حباً، وإنما يزرع كرهاً وعناداً.

سأل رجل حكيم عن قمع وردع الزوجة بالقوة، فقال له: لا تؤسس بيتك على الكره والخوف، فينهدم مع أول ريح.

دليل الكتاب في تعدد الزوجات

ونقف برهة مع الآية التي أباحت التعدد مع التأمل لمعان هذه الآية:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا (٣)﴾ [النساء:٣].

أسباب نزول هذه الآية:

يرى الإمام الطبري في تفسيره[١]:

أولاً: أنها نزلت في اليتيمة تكون في حجر وليها، فيرغب في مالها وجمالها، ويريد أن يتزوجها بدون صداق مثلها، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال مهور أمثالهن، وأمروا أن يتزوجوا ما سواهن من النساء إلى أربع.

وقد أخذ بهذا الرأي أكثر الفقهاء والمشرعين.

ثانياً: أنها نزلت في الرجل، كان يتزوج الأربع والخمس والست والعشر في الجاهلية ويقول: «ما يمنعني أن أتزوج فلانة، فإذا أفنى ماله، مال على اليتيمة التي في حجره، فنهاهم الله عن أن يتجاوزوا الأربع لئلا

(١) اعتمدنا في أسباب النزول على ما كتبه الإمام الطبري في تفسيره. مجمع البيان في تفسير القرآن.

يحتاجوا إلى أخذ مال اليتيم، إن خافوا ذلك مع الأربع، اقتصروا على واحدة)).

ثالثاً: أنهم كانوا يشددون في أموال اليتامى، ولا يشددون في النساء، ينكح أحدهم النسوة فلا يعدل بينهن. فقال تعالى: فكما تخافون ألا تعدلوا في اليتامى، فخافوا في النساء فانكحوا واحدة إلى أربع.

رابعاً: أنهم كانوا يتحرجون عن ولاية اليتامى، وأكل أموالهم إيماناً وتصديقاً، فقال سبحانه: إن تحرجتم عن ذلك فكذلك تحرجوا عن الزنى، وانكحوا النكاح المباح من واحدة إلى أربع.

خامساً: [وأن خفتم ألا تقسطوا] نزلت في اليتيمة المرباة في حجوركم، فانكحوا ما طاب لكم من النساء مما أحل لكم من يتامى أقربائكم مثنى وثلاث ورباع. والخطاب متوجه إلى ولي اليتيمة.

سادساً: إنْ كنتم تتحرجون عن مواكلة اليتامى، فتحرجوا عن الجمع بين النساء، وأن تتزوجوا منهن إلا من تأمنون معه الجوار.

ويرى الفخر الرازي: أنه إباحة للثنتين إن شاء، وللثلاث إن شاء، وللأربع إن شاء على أنه مجيز أن يجمع في هذه الأعداد من شاء، فإن خاف ألا يعدل اقتصر من الأربع على الثلاث، فإن خاف ألا يعدل اقتصر على الثنتين، فإن خاف ألا يعدل بينهما اقتصر على الواحدة.

دليل السنة في تعدد الزوجات:

أخرج مالك في الموطأ، وأحمد في مسنده، وابن ماجه، والترمذي في سننهما ن النبي قال لغيلان بن أمية الثقفي، وقد أسلم وتحته عشر نسوة: (**اختر أربعاً وفارق سائرهن**).

وفي سنن أبي داود عن الحارث بن قيس قال: أسلمت وعندي ثماني نسوة، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: (**فارق أربعاً، وأمسك أربعاً**).

الإجماع

أجمعت الأمة قولاً وعملاً منذ عهد النبي ﷺ إلى يومنا الحاضر على حل تعدد الزوجات، وهو حجة تشريعية بعد الكتاب والسنة.

ولم يرد عن أحد من الصحابة ﷺ خلاف ذلك، ولا عن الأئمة، وعلماء الدين خلاف، كما في كتب الحديث والتفسير.

مساوئ التعدد:

إذا نظرنا إلى موضوع تعدد الزوجات، وخصوصاً في زماننا هذا وجدنا له في أغلب الأحوال آثاراً سيئة على جو الأسرة بعد أن فسدت الضمائر، وضعف الوازع الديني.

وتضاءلت مراقبة الله في نفوس الناس، فساءت معاملة الزوجين كل منهم للآخر، وكثيراً ما يندفع الزوج ليبحث عن زوجة ثانية، لا لأي

سبب، وإنما ليغيظ زوجته الأولى، ويكيد لها.

وقد يميل كل الميل، فلا يبالي بحقوق زوجته الأولى، ويبخل بالإنفاق عليها وعلى أولاده منها، فيشعر الأولاد أن أباهم لم يعد يحن ويعطف عليهم، فتتكون في نفوسهم الضغينة والبغضاء على أبيهم، ويذكي ذلك أمهم التي لا تفتر عن إشعال نار العداوة في نفوس أولادها على أبيهم وإخوتهم منه.

ولا حاجة لأن نصف حالة الزوجة الأولى وغيرتها من المرأة التي انتزعت زوجها من أحضانها، وشاركته حبه لها.

وهكذا تنقسم العائلة الواحدة التي يفترض أن تكون متماسكة إلى حزبين كل منهما يكيد للآخر، أما الزوج فيحدث له هذا التنافر بين العائلة الواحدة متاعب لا تنتهي، بعد أن كان يأمل أن يعيش في ظل التعدد عزيزاً مكرماً، وبهذا يقول الشاعر:

تزوجت اثنتين لفرط جهلي ... وقد حاز البلى زوج اثنتين
فقلت أعيش بينهما خروفاً ... أنعم بين أكرم نعجتين
فجاء الأمر عكس الحال دوماً ... عذاباً دائماً ببليتين
رضا هذي يحرض سخط هذي ... فما أخلو من إحدى السخطتين

ولم يكن للتعدد في صدر الإسلام من الضرر مثل ما له الآن- كما يقول الأستاذ محمد عبده؛ لأن الدين كان متمكناً في نفوس النساء

والرجال، وكان أذى الضرة لا يتجاوز ضرتها، أما اليوم فإن الضرر ينتقل من كل ضرة إلى ولدها إلى والده إلى سائر أقربائه، فهي تغري بينهم العداوة والبغضاء، تغري ولدها بعداوة إخوته، وتغري زوجها بهضم حقوق ولده من غيرها، وهو بحماقته يطيع أحب نسائه إليه، فيدب الفساد في العائلة كلها.

ولو أمعنا النظر فيما ذكرناه من مساوئ لوجدنا أن هذه المساوئ لا علاقة لها بنظام التعدد في الإسلام؛ بل بأخلاق المسلمين أنفسهم.

يقول الأستاذ محمد عبده: ... وناهيك بتربية المرأة التي لا تعرف قيمة الزواج ولا قيمة الولد، وهي جاهلة بنفسها، وجاهلة بدينها لا تعرف منه إلا خرافات وضلالات تلقنتها عن أمثالها، يتبرأ منها كل كتاب منزل، وكل نبي مرسل، فلو تربى النساء تربية دينية صحيحة يكون بها الدين هو صاحب السلطان الأعلى على قلوبهن، بحيث يكون هو الحاكم على الغيرة، كما كان هناك ضرر على الأمة من تعدد الزوجات، و إنما يكون ضرره قاصراً عليهن في الغالب، ثم يقول الأستاذ محمد عبده: أما والأمر على ما نرى ونسمع، فلا سبيل إلى تربية الأمة مع فشو تعدد الزوجات فيها، فيجب على العلماء النظر في هذه المسألة... إلى أن يقول: وبهذا يعلم أن تعدد الزوجات محرم قطعاً عند الخوف من عدم العدل... ولا يفهم منه كما فهم بعض المجاورين أنه لو عقد في هذه الحالة العقد باطلاً أو فاسداً، فان الحرمة عارضة لا تقتضي بطلان

العقد... فقد يخاف الظلم، وقد يظلم المرء، ثم يتوب فيعدل فيعيش عيشاً حلالاً.

- ونحن نقول بأن الشيخ محمد عبده لا يرى منع التعدد، ولو أنه رأى هذا لكان رأيه مردوداً عليه، فشرع الله أحق أن يتبع، والله أعلم بالحكمة في تشريعه، و إساءة استعمال أي تشريع لا تقتضي إلغاءه، بل تقتضي منع تلك الإساءة.

مناقشة مساوئ التعدد:

إن شعور المرأة بالألم لمزاحمة زوجة أخرى لها، لا يدفعه منع التعدد، فما دام الرجل يتطلع إلى امرأة، فبماذا تحول زوجته دون انصراف عواطفه إلى تلك المرأة؟ إنه يستطيع أن يخونها، وأن يواصل المرأة سرًا ويعاشرها سراً، وقد تعلم ذلك، ولكنها لا تستطيع أن تفعل معه شيئاً، كما هو الواقع في حياة الغربيين، وحياة كثير من المنحرفين في بلادنا...أليس الإكرام لها ولزوجها وللمرأة الأخرى وللمجتمع أن يكون هذا اللقاء بعلمها ورضاها، وأن يكون مشروعاً على سنة الله ورسوله؟...

إن الحب -كما لا يقبل المزاحمة- لا يقبل الإكراه، فإذا ابتليت الزوجة بمن لا يحبها، كان ذلك قدراً مقدوراً، ولا سبيل إلى دفع عذابها النفسي وألمها بسبب ذلك، فإما أن تخسر الزوج كله بالطلاق، وإما أن

تخسر نصفه بالتعدد، فأيهما أكثر خسارة لها، وأشد إيلاماً؟

لو تربت المرأة تربية إسلامية، وعرفت أهداف الشريعة، وكانت واعية لحاضرها ومستقبلها، وأنه لا يكمل إيمانها حتى يكون دين الله ونصرته أحب إليها من والدها وولدها وزوجها والناس أجمعين، فعندما تعلم أن الله شرع تعدد الزوجات لغايات ومقاصد، منها:

-إعداد مجتمع إسلامي طاهر تنعدم فيه الفاحشة، وتكاد تنعدم فيه الخيانة، والمخادنة.

-إعداد مجتمع متكافل تجد كل أنثى فيه رجلاً يكفلها، وتسكن إليه، فإن تأمين التكافل لها من هذه الناحية هو أغلى عندها من الطعام والشراب، ومن كل شيء، بل غاية ما تصبو إليه أن ترى لها زوجاً وأطفالاً، وبيتاً تسكن إليه.

-ومن مقاصد التعدد إعداد جيش قوي مدرب يسعى إلى نشر العدالة والمساواة على أمم الأرض قاطبة، ورد الحاكمية في هذه الأمم إلى الله في نظام الحياة كله، لتسير الدنيا على نظام الله كما تسير الشمس وسائر الكواكب على نظامه، ولا يكون ذلك إلا بعد تعبئة جميع الجهود.

-ومنها الطاقات البشرية، وتشجيع التناسل بحيث لا تبقى فتاة في المجتمع إلا وقد وجدت زوجاً تنجب منه الأولاد، وتخرج للدنيا

كتائب من العظماء والأبطال، كما أخرجت أمهاتنا سعداً وأسامة وخالداً وصلاح الدين.

عندما تشعر الزوجة أو المرأة أن حياتها لله ودينه، ومماتها لله وما تملك هو لله، كما تقول في الصلاة قولاً و إيماناً وعملاً ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام:١٦٢].. عندها ترى أنه ليس من حقها أن تناقش في أمر شرعه الله، وهو العليم الخبير، بل عليها أن تسلم به تسليماً، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦]، وإن كثيراً من الأمور فرضها الله علينا، كالجهاد وهو أمر شاق على النفس، بل يؤدي إلى الهلاك، ومع ذلك فالمؤمن يقدم عليه، وهو يعتقد أن رضا الله فوق رضا نفسه، وكذلك المرأة الصالحة، فإن مزاحمة ضرتها لها لا تعادل شيئاً؛ بل والدنيا وما فيها أمام رضاء الله وتحقيق رسالته، لأن نفسها عند ذلك تكون قد انصرفت إلى هم أكبر، وانشغلت بأمر وأجل وأعظم:

إذا صح منك الود فالكل هيّن ... وكل الذي فوق التراب تراب

التعدد نظام أخلاقي و إنساني:

أما أنه نظام أخلاقي فلأنه لا يسمح للرجل أن يتصل بأي امرأة شاء، وفي أي وقت شاء، بل لابد من إجراء العقد جهاراً، ويشهده

الشهود، وأن يكون أولياء المرأة، ويكون في وضح النهار بمعنى أنه لا يكون في الخفاء، وأما أنه إنساني فلأنه يخفف الرجل به من أعباء المجتمع بإيواء امرأة لا زوج لها، ونقلها إلى مصاف الزوجات المصونات المحصنات.

إن نظام التعدد، يحدد الإنسان فيه شهوته إلى قدر محدود، ولكن يضاعف أعباءه ومتاعبه ومسؤولياته إلى قدر غير محدود.

إن رخصة تعدد الزوجات لم تشرع على سبيل الإلزام الإفرادي، ولكن على سبيل إيجاد المجال العام الذي يلبي هذا الواقع الفطري الغريزي، فلو استعرضنا كافة الأسباب الداعية إلى تعدد الزوجات، كزيادة عدد الإناث على الذكور، وعقم المرأة ومرضها...والحاجة إلى زيادة اليد العاملة لاستثمار الأراضي وزيادة الإنتاج... فكيف نواجه مثل هذه الحالات؟ وإليك واحدة منها، وهي زيادة نسبة النساء على الرجال فنواجه ذلك بأحد الأمور الثلاثة:

١- أن يتزوج كل رجل امرأة واحدة، ويبقى أخريات بدون زواج لا يعرفن الرجال.

٢- أن يتزوج كل رجل واحدة فقط، ثم يخادن ويسافح مدفوعاً بإغراء جذاب من النساء المتبرجات الذين بقين بغير زواج.

٣- أن يتزوج الرجل أكثر من واحدة، ولكن بحدود، وأن تعرف

المرأة الرجل زوجة شريفة لا خليلة، فالاحتمال الأول ضد الفطرة، لا هو إنساني بالنسبة للفتيات اللاتي بقين بغير زواج، والاحتمال الثاني ضد الاتجاه الإسلامي العفيف، والاحتمال الثالث هو الذي يختاره الإسلام رخصة مقيدة لمواجهة الواقع.

ثم نحن نرى في المجتمعات الإنسانية واقعاً لا سبيل إلى إنكاره أو تجاهله هو أن فترة الإخصاب في الرجل تمتد إلى سن السبعين أو ما فوقها، بينما تقف في المرأة عند سن الخمسين أو حواليها، فهناك عشرون سنة من سني الإخصاب في حياة الرجل لا مقابل لها في حياة المرأة، وما من شك أن من أهداف اختلاف الجنسين امتداد الحياة بالإخصاب والإنسان وعمران الأرض والتكاثر، فليس مما يتفق مع هذه السنة الفطرية أن نكف الحياة عن الانتفاع بفترة الإخصاب الزائد في الرجال، ولكن مما يتفق مع هذا الواقع الفطري أن يسن التشريع لكافة البيئات في جميع الأزمان والأحوال رخصة لا على سبيل الإلزام الفردي، ولكن على سبيل الإباحة ليلبي هذا الواقع الفطري، ويسمح للحياة أن تنتفع به عند الاقتضاء... وهو توافق بين واقع الفطرة، وبين اتجاه التشريع ملحوظ دائماً في التشريع الإلهي، لا يتوافر عادة في التشريعات البشرية لأن الملاحظة البشرية قاصرة لا تنتبه له، ولا تدرك جميع الملابسات القريبة والبعيدة، ولا تنظر من جميع الزوايا، ولا تراعي جميع الاحتمالات.

ومن الحالات الواقعية ما نراه أحياناً من رغبة الزوج في أداء الوظيفة الفطرية، مع رغبة الزوجة عنها لعائق من السن أو من المرض، مع رغبة الزوجين كليهما في استدامة العشرة الزوجية وكراهية الانفصال، فكيف نواجه مثل هذه الحالات؟ أنواجهها بهز الكتفين: وعندئذ نجد أنفسنا أمام احتمال من ثلاثة احتمالات:

أولاً: أن نكبت الرجل ونصده من مزاولة نشاطه الفطري بقوة التشريع وقوة السلطان.

ثانياً: أن نطلق العنان لهذا الرجل ليخادن ويسافح من يشاء من النساء.

ثالثاً: أن نبيح له التعدد وفق ضرورات الحال، ونتوقى طلاق الزوجة الأولى وتشردها.

١-فالاحتمال الأول ضد الفطرة وفوق الطاقة، وضد احتمال الرجل العصبي والنفسي، فإذا أكرهناه بحكم التشريع وقوة السلطان، فإن ثمرة هذا الإكراه هي كراهية الحياة الزوجية، فلا تعود الزوجة أُنساً ولباساً وسكناً وسكينة.

٢-والاحتمال الثاني ضد الاتجاه الخلقي، وضد ترقية الحياة البشرية وتركيبها وتطهيرها كي تصبح لائقة بالإنسان الذي كرمه الله على الحيوان، ففي المجتمعات الجاهلية الحديثة ينحسر المفهوم

الأخلاقي بحيث يتخلى من كل ما له علاقة بالتميز الإنساني عن الطابع الحيواني، ففي هذه المجتمعات لا تعتبر العلاقات الجنسية غير الشرعية، ولا حتى العلاقات الجنسية الشاذة رذيلة أخلاقية.

إن المفهوم الأخلاقي يكاد ينحصر في المعاملات الاقتصادية والسياسية أحياناً في حدود «مصلحة الدولة»، فمثلاً فضيحة كريستين كيلر وبروفيمو الوزير الإنكليزي لم تكن في عرف المجتمع الإنكليزي فضيحة بسبب جانبها الجنسي، إنما كانت فضيحة لأن كريستين كيلر كانت صديقة للملحق البحري الروسي، ومن هنا ظهر الخطر على أسرار الدولة في علاقة الوزير بهذه الفتاة، ولأنه افتضح كذبه على البرلمان الإنكليزي، وكذلك هناك فضائح في مجلس الشيوخ الأمريكي، كلها ليست بسبب شذوذهم الجنسي، ولكن بسبب الخطر على أسرار الدولة.

والكتاب والصحفيون والروائيون في المجتمعات الجاهلية هنا، وهناك يقولونها صريحة للفتيات والزوجات: إن الاتصالات الحرة ليست برذائل أخلاقية... بل الرذيلة أن تحافظ الزوجة على عفتها إذا كانت شهوة الحب لزوجها قد خمدت...

ولقد قلنا أن من أهداف الشريعة من وراء تشريع تعدد الزوجات إيجاد مجتمع أخلاقي تنعدم فيه كل الأسباب المؤدية إلى الزنا والخيانة والمخادنة، إذ كيف لا يرخص، ولا يسمح بتعدد الزوجات، ثم يفرض

على من يزني الجلد والرجم، إن من أسباب منع الزنا من المجتمع السماح بتعدد الزوجات، وبالمقابل فإن منع التعدد معناه انتشار الزنا والفحشاء.

٣-والاحتمال الثالث الذي يبيح التعدد وفق ضرورات الحال هو وحده الذي يلبي ضرورات الفطرة الواقعية، ويحتفظ للزوجة الأولى برعاية الزوجية، ويحقق رغبة الزوجين في الإبقاء على عشرتهما وذكرياتهما، ويحصل هذا غالباً في حال عقم الزوجة، ورغبة الزوج في النسل، وليس أمامه إلا طريقان: إما أن يطلقها ليستبدل بها زوجة أخرى تلبي رغبته الفطرية في النسل، أو يتزوج بأخرى ويبقى على عشرته مع الأولى، ولاشك أن تسعاً وتسعين من النساء يفضلون العشرة على الطلاق، بل كثيراً ما تجد الزوجة العاقر من الأطفال الصغار تجيء بهم الزوجة الأخرى، تجد فيهم أنساً وعاطفة إذ يملؤون الدار حركة وبهجة تنسيها غيرتها، ومضايقة الزوجة الجديدة لها.

وهكذا حيثما ذهبنا نتأمل الواقعية وجدنا مظاهر الحكمة العلوية في سن هذه الرخصة مقيدة بذلك القيد، فالرخصة تلبي واقع الفطرة وواقع الحياة، وتحمي المجتمع من الجنوح تحت ضغط الضرورات الفطرية إلى الانحلال.

إن الإسلام أباح تعدد الزوجات كي تكون هذه الإباحة وسيلة تخدم مقاصد معينة في هذه الحياة، لا أن يكون التعدد غاية الحياة، إن

أحداً يدرك روح الإسلام لا يقول إن التعدد مطلوب لذاته، وليس له أهداف سوى التلذذ الحيواني.

فإذا راح رجال يتخذون من هذه الرخصة فرصة لإحالة الحياة الزوجية مسرحاً للذة الحيوانية، فليس ذلك شأن الإسلام، وليس هؤلاء يمثلون الإسلام، إن هؤلاء إنما انحدروا إلى هذا الدرك لأنهم بعيدون عن الإسلام، واستعبدتهم شهواتهم قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان:٤٣]، ولم يدركوا روح الإسلام النظيف، والسبب في ذلك أنهم يعيشون في مجتمع لا يحكمه الإسلام، ولا تسيطر فيه شريعته، مجتمع لا تقوم عليه سلطة مسلمة تدين بالإسلام وشريعته، ويأخذ الناس بتوجيهات الإسلام وقوانينه وآدابه وتقاليده.

إن المجتمع المعادي للإسلام المتفلت من شريعته وقانونه هو المسؤول عن ما ينتجه تعدد الزوجات أحياناً من مساوئ، وهو المسؤول عن اتخاذ الزوجات في صورته الهابطة المريبة، هو المسؤول عن اتخاذ الحياة الزوجية مسرح لذة بهيمية، فمن شاء أن يصلح هذه الحال فليرد الناس إلى شريعة الله ومنهجه، فليردهم إلى النظافة والطهارة والاستقامة والاعتدال، لا في هذه الجزئية فحسب، ولكن في منهج الحياة كلها.

فالإسلام نظام متكامل لا يعمل إلا وهو كامل شامل، وكل لا

يتجزأ.

لماذا لا ينبغي إشراف فئة خارجية على تعدد الزوجات؟

إن قول الله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء:٣] هو خطاب موجه للأفراد في شأن لا يعرف إلا من جهتهم، يرجعون فيه إلى نفوسهم، ويتحاكمون فيه إلى نياتهم وعزائمهم، وليس للعدالة المشترطة لتعدد الزوجات من الإمارات الصادقة المطردة أو الغالبة ما يجعل معرفتها وتقديرها داخل تحت سلطان الحاكم حتى يترتب على تلك الإمارات تشريع المنع، أو إباحة التعدد،وكم من شخص يرى بإمارات تدل على غلظ الطبع، ثم يكون في المعاشرة أو الاقتران مثالاً حياً لحسن المعاشرة والقيام بالواجب.

والله الذي يأمر أن نعامل النساء بالقسط كما نعامل اليتامى مهّد لهذا الأمر باستجاشة الضمائر البشرية والأحاسيس والمشاعر الإنسانية، فخاطبهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء:١]، إلى أن قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١] خطاب يعمر القلوب بالإيمان والحساسية المرهفة، ومراقبة الله، وبعد ذلك وجه إلى هذه القلوب طلبه بالقسط والعدل بين الزوجات ومع اليتامى، ونحن

نرى في وقتنا الحاضر بعد أن فرغت القلوب من شحنة الإيمان، وقست وتبدلت- نرى أموال اليتامى تؤكل بشتى الطرق، وشتى الحيل، ومن أكثر الأوصياء على الرغم من كل الاحتياطات القانونية، ومن رقابة الهيئات الحكومية المخصصة للإشراف على أموال القصّر، لأن القسط والعدل والمساواة والإخلاص، كلها أمور روحية لا تفلح فيها التشريعات القانونية، ولا الرقابة الظاهرية، فالتحايل على القانون باسم القانون يعرفها كل إنسان، والتمويه والخداع كثير! كلا لا يفلح إلا أمر واحد... التقوى فهي التي تكفل الرقابة الداخلية على الضمائر، فيصبح للتشريع قيمته وأثره، إن هذه الأرض لا تصلح بالتشريعات والتنظيمات، وهذه التقوى لا تجيش- تجاه التشريعات والتنظيمات إلا حين تكون صادرة من الجهة المطلعة على السرائر، الرقيبة على الضمائر... عندئذ يحس الفرد وهو يهم بانتهاك حرمة القانون أنه يخون الله ويعصي أمره، و يصادم إرادته، وأن الله مطلع على نيته هذه وعلى فعله... وعندئذ تتزلزل أقدامه، وترتجف مفاصله، وتجيش قواه.

إن الله أعلم بعباده، وأعرف بفطرتهم، وأخبر بتكوينهم النفسي والعصبي- وهو خلقهم- ومن ثم جعل الله التشريع تشريعه، والقانون قانونه، والنظام نظامه، والمنهج منهجه، ليكون له في القلوب وزنه وأثره ومخافته ومهابته، وقد علم سبحانه أنه لا يطاع أبداً شرع لا يرتكن إلى هذه الجهة التي تخشاها وترجوها القلوب، وتعرف أنها مطلعة على

خفايا السرائر، وخبايا القلوب، وأنه مهما أطاع العبيد تشريع العبيد، تحت تأثير البطش والإرهاب، والرقابة الظاهرية، فإنهم لا بد متفلتون منها كلما غافلوا الرقابة، وكلما واتتهم الحيلة مع شعورهم دائماً بالقهر والكبت والتهيؤ للانقضاض.

وقد جعل الله العدل بين الزوجات شرطاً صريحاً لإباحة التعدد، لا شرطاً لصحته بإجماع العلماء، فلو جعل الله هذا الشرط شرطاً قانونياً لسماح القاضي بالزواج بامرأة ثانية لمن عنده زوجة واحدة، فكيف يمكن للقاضي، أن يتحقق من ذلك؟

فهل للعدل أمارات سابقة؟ هل يمكن أن يثبت ذلك بالشهادة؟ هل يكتفى فيه بيمين الزوج أنه سيعدل؟ هل يعرف العدل بالفراسة؟ وهل سيكون القضاء بالفراسة؟ هل يسأل أقرباء الزوج وأصدقاءه عن خلق الزوج في العدالة وعدمها؟ ثم كيف يمكن أن نمنع عقداً لمحظور لم يوجد بعد... ولا سبيل إلى التحقيق من وجوده في المستقبل؟

يقول الأستاذ الجليل أبو زهرة:

إن العدل الذي جعل شرطاً دينياً لا يمكن أن يجعل شرطاً قانونياً يتوقف عليه السماح بالتعدد أو عدمه.

وهناك قيد آخر يستفاد من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ [النساء:٣] هذا القيد هو القدرة على الإنفاق، وقد فسر الشافعي هذه الآية

فقال: حتى لا تكثر عيالكم، وهذا الشرط ممكن، ويستطيع القاضي أن يتأكد منه بالسؤال عن قدرة الشخص المالية بمعرفة دخله وإيراده، فإذا وجده قادراً لم يكن هناك مانع من السماح له بإجراء هذا العقد، وفي هذا منع لإساءة استعمال التعدد في بعض حالاته.

بيد أني أقول إن هذه الرقابة من أجل توفير القدرة على الإنفاق ليست كل شيء، فقد يبخل عن الإنفاق وهو غني، فيقتر عليها وينفق بسخاء على غيرها، فرغم هذه الرقابة، فإنه قد يظلم ويجور، ويعود الأمر أولاً وآخراً إلى التقوى، وإلى رقابة الله.

يروى أن رجلاً سأل علي بن أبي طالب فقال له: لمن أزوج ابنتي؟ فأجابه: زوجها التقي الورع الذي إذا أحبها أكرمها، و إن أبغضها ما ظلمها.

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله:

التقوى: هي التي تعقل النفوس عن الظلم وعن الاعتداء... إنها حساسية القلب وشعوره بالخوف من الله، وتحرجه عن غضبه، وتطلبه رضاه، إنه بغير هذا الرباط لا تقوم شريعة، ولا يفلح قانون، ولا يتحرج متحرج، ولا تكفي التنظيمات الخاوية من الروح؛ بل لابد من الحساسية والخوف، والطمع في قوة أكبر من قوة الإنسان وهي الله.

وهذا ما يفسر لنا ندرة عدد الجرائم التي أقيمت فيها الحدود-

حيث ساد الأمن، وساد العدل حين سادت شريعة السماء- على عهد النبي والخلفاء الراشدين... لقد كانت هناك التقوى، كانت هي الحارس اليقظ في داخل الضمائر وفي حنايا القلوب، تكفها عن مواضع الحدود.

إلى جانب الشريعة البصيرة بخفايا الفِطَر، ومكنونات القلوب، وكان هناك ذلك التكامل بين التنظيمات والشرائع من ناحية، والتوجيهات والعبادات من ناحية أخرى، تتعاون جميعهم على إنشاء مجتمع سليم التصور، سليم الشعور، نظيف الحركة، نظيف السلوك، لأنها تقيم محكمتها الأولى من داخل الضمير.

وأخيراً فإن أولئك الذين يحملون على مشروعية تعدد الزوجات كان الأجدر بهم أن يحملوا على الناس الذين فسدت أخلاقهم، وبعدوا عن الدين، فإن كثرة المخالفين للقانون لا تدل على فساد هذا القانون.

كان عليهم أن يحملوا على «المادية» (وهي الدين الجديد الذي استبدلنا به الإسلام) تلك المادية التي جعلت الناس تثاقل إلى الأرض وحب المال والشهوات، ليحملوا عليها لأنها صارت قبلتهم وغايتهم، بعد أن كانت قبلة المسلمين وغايتهم مرضاة الله وإقامة حدوده والسير على صراطه والعمل بشرعه، أولئك كان عليهم أن لا يحملوا على الإسلام الذي كان سبب عز العرب والمسلمين وكرامتهم، بعد أن كانوا قبل الإسلام أمة موطوءة الأقدام، بل ليحملوا على أنفسهم التي انهزمت

عن السير على منهج الله وتعاليم الدين، ورضيت بالدنيا وأخلدت إلى الأرض.

والشريعة لم تنزل على الذين كرهوها وضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، إنما نزلت على المسلمين المتقين الذين استقاموا على طريق الله، فكانوا آية العدل مع أنفسهم وأزواجهم والناس جميعاً.

تعدد الزوجات... ما له وما عليه

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (٣)﴾ [النساء:٣].

المتأمل لشرع الله تعالى يجد بعض الأحكام يشرعها سبحانه إما حلالا، وإما حراما، أو مسكوتا عنه... والله سبحانه في هذه الآية لم يفرض على الرجل التعدد، ولكنه أحله له، فمن شاء عدد، ومن شاء اقتصر على واحدة، وكل حسب قدرته ورغبته.

وتحليل الله تعالى للتعدد له شروط وضوابط عرضها القرآن الكريم حتى لا يكون الأمر فوضى تختل بها موازين الأسرة، هناك فرق بين أن يلزمك الله أن تفعل، وبين أن يحل لك أن تفعل أو لا تفعل.

وحين يحل لك الله تعالى أن تفعل أو لا تفعل، ما المرجع في فعلك ؟ إنه رغبتك، وهكذا يظن البعض، ولكن الحقيقة هي: أنك إذا أخذت الحكم، فخذ الحكم من كل جوانبه، فلا تأخذ الحكم بالتعدد ثم تتغاضى عن الحكم بالعدالة... إذا حدث هذا فسينشأ الفساد في الأرض، وأول هذا الفساد هو تشكك الناس في دين الله. لماذا ؟ لأنك أخذت التعدد وتركت العدالة...فأنت تكون قد أخذت شقا من الحكم

ولم تأخذ الشق الآخر وهو العدل.

الناس تجنح أمام التعدد لماذا؟ لأن الناس شقوا كثيراً بالتعدد، أخذوا حكم الله في التعدد، وتركوا حكم الله في العدالة، والمنهج الإلهي يجب أن يؤخذ كله، لماذا تكره الزوجة أن يعدد الزوج؟ لأنها وجدت أن الزوج إذا ما تزوج واحدة عليها التفت الزوج عنها كلية بخيره وببسمته وبحنانه إلى الزوجة الجديدة، حينئذ لابد للمرأة أن تكره زواج الرجل عليها بامرأة أخرى.

إن الذين يأخذون حكم الله في التعدد يجب أن يلزموا أنفسهم بحكم الله أيضاً في العدالة... فإن لم يفعلوا ذلك فهم يعيشون التمرد على حكم الله، وسيجد الناس حيثيات لهذا التمرد... سيقال: انظر إلى فلان تزوج بأخرى وأهمل الأولى، أو ترك أولاده بدون رعاية، واتجه إلى الزوجة الجديدة، فكيف تأخذ إباحة الله في شيء، ولا تأخذ إلزامه سبحانه في ضوابط ذلك الشيء؟!

إن من يفعل ذلك فهو يشكك الناس في دين الله، ويجعل الناس تتمرد على شرع الله.

إذن... فآفة الأحكام أن يؤخذ حكم جزئي من دون مراعاة الظروف كلها، والذي يأخذ حكماً عن الله لا بد أن يأخذ كل منهج الله، وللنظر إلى إنسان عدل في العشرة وفي النفقة، وفي المعيشة وفي المكان وفي

الزمان، ولم يجد هناك مبرراً لأن يرجح واحدة على أخرى.. فالزوجة الأولى إن رفضت ذلك فهي لن تجد حيثية لها أمام الناس.

أما عندما يكون الأمر غير ذي عدل، فإنها سوف تجد حيثية للاعتراض.

إذن... الصراخ الذي نسمعه هذه الأيام إنما نشأ من البعض الذي أخذ بالتعدد ،وأعرض عن العدالة، والعدالة إنما تكون في الأمور التي للرجل فيها خيار، أما الأمور التي لا خيار فيها للرجل، فلم يطالبه الله.

والكارهون للتعدد، والذين في قلوبهم مرض يقولون: إن الله قال اعدلوا... ثم حكم أننا لا نستطيع أن نعدل !!

لهؤلاء نقول: هذا من سوء فهمكم للآية الكريمة، فالآية أحلت التعدد بشرط العدالة، ومن لا يستطيع العدالة فلا حق له في التعدد، فهؤلاء أخذوا قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ [النساء:١٢٩]، وتركوا قوله سبحانه: ﴿ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾ [النساء:١٢٩].

الله ﷻ قد ألمح على عدم الاستطاعة في العدل المطلق عند البعض، ولكنه قد أبقى الحكم ولم يلغه، لأن هناك من يستطيع أن

يعدل.

ولنا أسوة حسنة في الرعيل الأول من صحابة الرسول ﷺ والتابعين ومن بعدهم، عددوا وعدلوا، ولا تزال طائفة من هذه الأمة على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، وحكم الله تعالى قائم وباق إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾ [النساء:٣]، وأما تكملة الآية في قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ٣﴾ [النساء:٣]. فشرط مرجعه شخص المكلف، بمعنى أنه إذا خاف ألا يعدل فعليه أن يقتصر على زوجة واحدة، وإن استطاع العدل بينهن بالسوية كما أشرنا سابقاً، فقد أحل الله له التعدد.

قلنا: إن المؤمن يجب ألا يجعل منهج الله في حركة حياته عضين، بمعنى أنه يأخذ حكماً في صالحه، ويترك حكماً عليه، فالمنهج من الله يجب أن يؤخذ جملة من كل الناس؛ لأن أي انحراف في فرد من أفراد الأمة الإسلامية يصيب المجموع بضرر... فكل حق لك أيها المسلم واجب عند غيرك، فإن أردت أن تأخذ حقك فأد واجبك (١).

والذين يأخذون حكم الله في إباحة التعدد.. عليهم أن يأخذوا حكم الله أيضا في العدل.... وإلا فقد أعطوا خصوم الدين حججا قوية في الصد عن سبيل الله ويجرئونهم على تغيير ما شرع الله بحجة ما يرونه من آثار أخذ حكم وإهمال حكم آخر.

والعدل المراد في التعدد هو قسمة بالسوية في المكان، أي أن لكل واحدة من المتعددات مكانا يساوي مكان الأخرى، وفي الزمان. أي يقسم بينهن في المبيت، ويعطي كل واحدة حقها من الوقت. وفي متاع المكان، فيما يخص الرجل من متاع نفسه. فليس له أن يجعل شيئا له قيمة عند واحدة، وشيئا لا قيمة له عند واحدة أخرى... لا، لابد من المساواة.. لا في متاعها فقط... بل متاعك أنت أيها المسلم الذي تتمتع به عندها، حتى إن بعض المسلمين الأوائل كان يساوي بينهن في النعال التي يلبسها في بيته، فيأتي بها من لون واحد وشكل واحد وصنف واحد وذلك حتى لا تفاخر واحدة منهن على الأخرى قائلة: إن زوجي يكون عندي في أحسن هندام من عندك.

والعدالة المطلوبة أيضا هي: العدالة فيما يدخل في اختيارك لأن العدالة التي لا تدخل في اختيارك لا يكلف الله بها... فأنت عدلت في المكان وفي الزمان وفي المتاع لكل واحدة. ولكنك لا تستطيع أن تعدل بميل قلبك، وحب نفسك، لأن ذلك ليس في قدرتك، والرسول ﷺ يقول: (**اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلاَ تَلُمْنِى فِيمَا تَمْلِكُ وَلاَ أَمْلِكُ**) [رواه الأربعة والإمام أحمد والحاكم].

إذن... هذا معنى قوله الحق سبحانه: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا

كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء:١٢٩].

هناك أشياء لا تدخل في قدرتك، ولا تدخل في اختيارك، مثال ذلك كأن ترتاح نفسياً عند واحدة، ولا ترتاح نفسياً عند أخرى، لكن الأمر الظاهر للكل يجب أن تكون فيه القسمة بالسوية حتى لا تفضل واحدة على الأخرى، وحتى لا تعطي الكارهين لدين الله ثغرة ينفذون منها إلى شرع الله تعالى.

التحليل النفسي للتعدد

يتزوج الرجل بالزوجة الأولى، وبعد فترة من الزمن قلّت أو كثرت بحسب نفسية الزوج ومدى قناعته بتلك الزوجة، يحصل الفتور والملل، وتبدأ عينا الزوج اللتين كانتا مغمضتين تتفتحان شيئاً فشيئاً على سلبيات الزوجة التي ليس لديها أي خبرة في الزواج، أو الحياة الزوجية.

وهنا يبدأ الصراع بين حظوظ النفس وتطلعاتها، وبين واقع الزوجة فتجد الزوج يتأفف، ويتذمر، ويغضب لأتفه الأسباب، وقد تكون الزوجة من خيرة الزوجات في تعاملها مع زوجها، ولكن هذا الصلاح، وتلك الاستقامة تذهب أدراج الرياح، إذا لم يحصل الزوج على الارتواء العاطفي والجنسي، وهذا في بداية الحياة الزوجية شبه مستحيل؛ لأن الزوجة لا تملك أي رصيد من الثقافة الجنسية، والتعامل الزوجي، فإذا كانت من النساء الصالحات كان دورها الاستسلام، والطاعة العمياء التي -في الغالب- لا تشبع رغبات الزوج وغروره، وكل ذلك بسبب النقله السريعة التي تكون قبل الزواج وبعده، فهي قبل الزواج فتاة ليس لها أي ثقافة أو معلومات عن الزواج، ومن ليلة الزفاف عليها أن تكون الزوجة اللعوب (الدلوعة) ذات الخبرة والفنون في غرفة النوم، وبعد الزواج تخاف أن تسأل زوجها، أو حتى يكون بينهما حوار لمعرفة ما يحب الزوج أو النقص الذي تشعر به، فيتهمها بالوقاحة

والانحراف.

هنا أسأل هذا الزوج:

كيف ستحل تلك المعادلة الصعبة، وأنت ليس لديك الاستعداد لتعليمها، وتدريبها، إما لأنك لا تعرف، أو لأن ذلك التعليم أو التدريب لن يكون مجدياً وله الأثر الايجابي – حسب زعمك-.

فتكون ردة الفعل عندك التهرب والغضب والتحطيم والسلبية، التي سيكون لها الأثر السيئ على نفسية الزوجة، فتشعر بعدم الثقة في نفسها، وتصبح غير قادرة على العطاء، لأنها ترى أن طاعتها وتضحيتها وتفانيها في سبيل إسعادك يذهب في لحظة غضب منك، وهذا سوف يزيد الأمور سوءًا مع مرور الأيام، وتكبر الفجوة بينهما، وتتجمد العواطف، ويبدأ العد التنازلي! الزوج في غرفة مستقلة، والزوجة تصاب بنوع من البرود واللامبالاة، وهكذا يستمر الزواج رغم الجفاء العاطفي والجنسي بحكم وجود الأطفال، أو رغبة الأهل، أو مصالح اجتماعية أخرى، أما في الحقيقة، فهو زواج فاشل، تقع فيه المسئولية على الأهل أولاً، وعلى الزوج والزوجة ثانياً.

وهنا يبدأ الزوج بالبحث عن علاقة أخرى يشبع بها رغباته، ويلبي بها احتياجاته، وهو يظن أن ما عند الأخريات أفضل بكثير مما عند زوجته، وأنه سوف يعوض ذلك النقص الذي في زوجته- حسب

وهمه- فإذا كان ممن يخاف الله، ويخشى عقابه، بدأ بالبحث عن زوجة أخرى، وإذا كان غير ذلك وقع في حمأة العلاقات المحرمة، وكلما مارس الحب والجنس مع فتاة شعر - وهماً - بأنه في قمة السعادة والنشوة، وأن هذا هو الحب الحقيقي، وأن هذه المرأة هي التي أشبعت رغباته، وحققت أحلامه، وهذا كذب ووهم.

١- لأنه لا يشعر بالمسؤولية تجاه هذه المرأة.

٢- لأن الحرام مزين من قبل الشيطان.

٣- لأن هذه المرأة لا يملكها، والإنسان بطبعه يجري خلف الشيء الذي لا يملكه، ويزهد في الذي يحصل عليه.

٤- الشعور بعقدة الذنب، وتأنيب الضمير، والهم والحزن بعد الانتهاء من المعصية، مهما كان فاسقاً.

٥- لا يمكن لهذا الزوج أن يتزوج بهذه المرأة، لأنها سلمت له نفسها، وحجته في ذلك أن من تسلم له قبل الزواج تسلم لغيره بعد الزواج.

٦- من المستحيل أن يحصل على السكن (الراحة النفسية)؛ لأن السكن مرتبطٌ بالزواج، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١]، ولم يقل نساءً، والذي يهمنا في هذا البحث الزوج الذي

يريد أن يتزوج زوجة ثانية، بحجة أن زوجته الأولى إنسانه باردة المشاعر والعواطف، وفيها من المساوئ ما فيها.

وتكرماً منه سيبقيها في عصمته من أجل أولادهما.

والسؤال الآن: هل هذا الزوج يريد أن يعدد اتباعا لسنة النبي ﷺ.

والجواب لديك أيها الزوج، ولكن سأجيب عنك بلماذا؟

لأن الدافع وراء زواجه بأخرى هي العاطفة المتقلبة أو النزوة العابرة، أو حب التغيير والدليل:

قد يتزوج امرأة أجمل من زوجته أو أكثر مالاً، أو أعظم نسباً، أو بحسب النقص الذي يفتقده في زوجته الأولى- حسب زعمه – وما هي إلا نشوة الفرحة بكل جديد، ثم يعيد المسلسل الأول الذي عاشه مع زوجته الأولى فيشعر بالغبن والإحباط، ويرى أن ما حصل عليه بزواجه الثاني لا يختلف كثيراً عن زواجه الأول، بل ستكثر المشكلات بسبب غيرة النساء.

وفي الغالب لا تقبل الزوجة الثانية بالزواج به إلا لماله، أو الهروب من واقعها السيئ، أو تجاوزها قطار الزواج.

وينقلب الاستقرار والقناعة والتضحية النسبية التي كانت من زوجته الأولى قبل أن يتزوج عليها إلى اضطراب، وإسراف، وسخط وأنانية، وكلما شعرت منه بأدنى تقصير رددت عليه الكلمة التالية: (لماذا

تزوجت عليَّ) إذا كنت لا تستطيع تكاليف الزواج الثاني، والعدل بيننا.

وفي الغالب يكون من الزوج ميل- إلا من رحم الله – إلى إحدى الزوجات، وفي البداية يكون للزوجة الثانية بسبب انبهاره بها، أوقد يكون عندها شيء مما يريده، وحظوة ومكانه في قلبه، وربما انقلب السحر على الساحر، ورأى أن الزوجة الأولى أفضل بكثير مما كان يتوقع في الثانية فيميل إليها، ويهمل الزوجة الثانية، ويحاول التخلص منها، تارة بالتضييق بالإنفاق، وتارة أخرى باختلاق المشكلات على أتفه الأسباب، وتارة بإهمالها، وعدم القسمة لها، ولا يأتيها إلا في فترات متباعدة كالضيف، يقضي حاجته منها شفقة عليها، لأنه شعر أنه خدع وغبن في زواجه الأول والثاني، ولذلك لابد من زوجة ثالثة تروي ظمأه وتفهمه...إلخ.

وهكذا يصبح هذا الزوج كالرجل العطشان الذي يشرب من ماء البحر، كلما شرب ازداد عطشاً.

هذا بالإضافة إلى إهمال أولاده من زوجته الأولى، وعدم تربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة، وإنفاق المال بغير حساب، حتى إذا أفلس من كثرة الإسراف، وعاد صفر اليدين، لن يجد من تقبل به، وهو فقير، وفي الغالب تكون هذه النهاية مما يضطره للعودة إلى زوجته الأولى، مرغماً أخاك لا بطل.

وقد يكون العكس، فيميل للزوجة الثانية التي قد تبهره بجمالها، وصغر سنها، مما ينعكس على نفسيته بإهمال الزوجة الأولى وأولادها، وربما ضاق ذرعاً إذا طالبته زوجته الأولى ببعض الاحتياجات الأساسية لها ولأولادها، وإذا طلبت الزوجة الثانية بعض الكماليات من الملابس أو الذهب أو غير ذلك سارع على الفور بإعطائها أضعاف ما طلبت.

وفي الغالب يكون فارق السن بينهما كبيراً، ولذلك تبدأ الزوجة تأمين نفسها مادياً – كما تزعم – وتحاول تحصيل أكبر قدر من المال بكل الأساليب، وحجتها في ذلك بأن زوجته الأولى وأولادها لن يعطوها شيئاً إذا مات زوجها أو طلقها.

صنف آخر:

لماذا تريد أن تعدد؟.

أجاب بأن النساء أكثر من الرجال، وكثيرات منهن تجاوزت سن الزواج، وأصبحت عانساً، وقد تكون ليس لها معين، أو موظفة.

لذلك يريد أن يعدد ليستر بنات المسلمين، ويحفظ عليهن شرفهن، ما أجمل أن يعدد الرجل بهذه النية الحسنة التي أسأل الله أن يثيبه عليها، ولكن لننظر إلى واقع بعض المسلمين اليوم

هل هذا الكلام صحيح؟

أم أنها نوايا ليس لها في ميزان الله أي قيمة تكسب صاحبها ثواباً

ينتفع به يوم القيامة، بل قد تكون وبالاً عليه وهو لا يدري.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤] نجد الكثيرين ممن يعددون أو يرغبون في التعدد يشترط شروطاً لو وجدت في امرأة لتهافت عليها العزاب قبل المتزوجين، وربما تنازل بعض الشيء، وتجاوز عن موضوع السن

وما أن يتزوج بالزوجة الثانية، ويستمتع بها أياماً أو أسابيع أو أشهر على الأكثر، تراه واضعاً يده على خده يندب حظه، ويفكر في الخلاص من هذه الورطة التي ورط بها نفسه، والتي – حسب زعمه- لم يجد عندها ما كان يصبو إليه من الغنج والدلال والكمال، أو حتى لم تصل إلى مستوى زوجته الأولى التي قد يكون تزوجها من سنوات، وبدأت تفهم نفسيته، وتحقق له بعض ما يريد.

الزوجة الأولى قد استولت عليه، وقيدته بالأولاد، ولذلك لا مفر منها، أما الثانية فهو حريص أشد الحرص أن لا تأتي بالأولاد حتى لا تقيده، ويجد مخرجاً إذا أراد الخلاص منها.

وهكذا يعيش ما بين إقبال وإدبار، وحب وبغض، ومقارنة ما بين الزوجة الأولى والثانية، وفي النهاية يملها، ويرى أنه لم يحقق شيئاً لمزاجه المتقلب، ونفسيته الهوائية، فيبدأ في إهمالها وتجريحها بالسب

والشتم والتعيير، والإهانة، أو بالزواج عليها، وقد يضيق عليها في المأكل والمشرب والمسكن، وتراها تصبر وتتحمل وتتجرع الألم، لأنها لا تريد أن ترجع إلى أهلها مطلقة، والتي قد تكون للمرة الثانية ولن تستطيع الخلاص من أعين الناس وكلامهم، أو قد يكون في بيت أهلها من المشكلات ما يجعلها ترى جحيم زوجها أفضل من جنة أهلها.

تقول إحداهن: لا أريد الرجوع إلى بيت أهلي، لأن أخي الأكبر مني من يوم طلاقي الأول يتحرش بي، ويراودني عن نفسي بحجة أني مطلقة، ولا أحد يكشفه.

وتقول أخرى: لا أريد الرجوع إلى بيت أهلي، لأن أمي حذرتني عدة مرات إذا رجعت مطلقة مرة ثانية لن أدخل هذا البيت، والمصيبة الكبرى إذا رجعت إلى أهلها وعندها أولاد.

تقول إحدى الزوجات (الثانية): كنت في البداية رافضة أن أكون الزوجة الثانية، ولكنه أقنعني بأن زوجته الأولى مدرسة مشغولة دائماً عنه، ولم يرزق منها إلا البنات، وأنه يوم أن رآني أحبني، ولا يستطيع الاستغناء عني، وسوف يكون الزوج المثالي الذي يقدر الحياة الزوجية، وأن يكون عندي معظم الأوقات، وتزوجت وعشت معه قرابة الشهرين، وفجأة انقلب الحمل الوديع إلى وحش كاسر، والكلام الرقيق إلى أوامر ونواهٍ، وتحطم قلبي، وذهبت أحلامي التي رسمتها قبل الزواج؛ حيث السعادة والسكينة والاستقرار، وعشت الرعب والخوف والقلق وعدم

الأمان، والتهديد المستمر إما بالطلاق أو الهجر، أو الزواج بثالثه.

قد يخطر ببالك عزيزي القارئ أن هذا الزوج جاهل، أو مراهق، أو ليس لديه القدرة المالية.

للأسف الشديد هو رجل في الخمسين من عمره، وربما كان يحمل شهادة دكتوراه في الشريعة، وراتبه يزيد عن العشرين ألف ريال.

تقول إحدى الفتيات -وتبلغ من العمر ٢٨ سنة، وهي بكر-: كنت في بيت أهلي أعيش حياة شبه مستقرة، تخرجت من الجامعة وتوظفت، وحاله أهلي المادية ممتازة، ولا ينقصني إلا الزوج الصالح، وأن أكون أماً.

وتقدم لي أحد الشبان الدعاة، وأعجبت بدينه، ووافقت أن أكون الزوجة الثانية، وتنازلت له عن الكثير من حقوقي المادية التي أعتبرها لا تساوي شيئاً أمام هذا الشخص الذي وعدني بأن يكون الزوج المثالي والحنون، وتزوجت، وعشت معه قرابة السنة، رأيت فيها جميع أنواع الحرمان والإهمال واللامبالاة لدرجة أني كنت أبقى اليوم واليومين دون أكل، وأنا في البيت وحدي- وطبعاً ممنوع الخروج- فكنت أتصل به عدة مرات، وأشتكي له، فيعدني بأنه سيأتي، وقد يأتي في ساعة متأخرة من الليل، ويحمل معه (سندوتش)، وعصيراً، ويسمعني من الكلام الجارح ما الله به عليم:

أنت إنسانه مرفهة، ويكفيك دلع...

و صبرت بما فيه الكفاية، وكنت أبكي يومياً، ولا مجيب، فطلبت الطلاق، وطلقني، وعدت إلى بيت أهلي بنفسية محطمة مكسورة، لا أحد من أهلي يعلم أسباب طلاقي، وبعد فترة من الوقت اتصلت به وقلت:

لماذا تزوجتني وعذبتني هذا العذاب؟

ولماذا لم تتركني في بيت أهلي أعيش على أمل اللقاء بالزوج الذي يسعدني؟

فأجابني قائلاً: أريد أن أستر بنات المسلمين.

قصة أخرى:

رجل تزوج بفتاة من عائلة محترمة، وأنجب منها سبعة أولاد، وبعد سنوات تزوج بزوجة ثانية، وأراد أن يُسكن الزوجة الثانية مع الأولى في الشقة نفسها، فقالت زوجته الأولى:

أنا لا أمانع أن تتزوج بزوجة ثانية، ولكن أن تسكن معي فلا استطيع ذلك.

فهددها بالطلاق، وبعد فترة من المعاناة بسبب سكن الزوجتين في منزل واحد، ضاقت الزوجة الأولى بذلك ذرعاً، فذهبت إلى بيت أهلها مع أولادها السبعة، فكانت فرحة الزوج لا توصف؛ لأن الزوجة أخلت

له المنزل، وبعد فترة اتصلت هذه الزوجة المسكينة بزوجها لأن بيت أهلها ضاق بها وبأولادها السبعة.

فأجابها: إذا أردتِ الرجوع والعيش معنا في بيت واحد، فأهلا وسهلاً، أما إذا أردت منزلاً مستقلاً فالأفضل لك أن تبقي في بيت أهلك.

واستمر الحال هكذا قرابة السنتين، ولم يتغير شيء إلى يومنا هذا.

قصة أخرى:

رجل متزوج بزوجتين، وأراد أن يتزوج بالثالثة، فبحث عن إحدى قريباته ممن تجاوزن سن الزواج، وزعم أنه يريد أن يخلصها من وحدتها، ويستر على بنات المسلمين وأولى الناس قريبته تلك،ورآها الرؤية الشرعية، وتحدث معها، وشرحت له ظروفها القاسية، فزعم بأنه سيكون الزوج الصالح، وما هي إلا أيام، حتى تزوج وعاش معها قرابة الشهر، ثم تركها وسافر إلى إحدى البلاد العربية تخدم أمه الطاعنة في السن، ومرت الأيام والشهور، ولا يتصل بها، ولا يرسل لها ما تحتاجه من نفقة، وإذا اتصلت به أجابها بأنه سيعود من سفره في وقت قريب، واستمر الحال قرابة السنة وهي تنتظر، ولا مجيب، فاتصلت به وأخبرته بأنها لم تتزوج لتعيش وحيدة تخدم أمه؟

فأجابها على الفور: اذهبي إلى بيت أهلك.

وعادت إلى بيت أهلها، فأرسل إليها من يقول:

تنازلي عن المهر المقدم والمؤخر وأطلقك.

فسألته: لماذا تزوجتني؟

فأجابها: لأذل وأقهر زوجتي الثانية، لأنها كانت تقول لي دائماً بأنك لا تستطيع أن تتزوج عليّ.

إن الذي يتزوج بدون التأني في الاختيار، ويبني اختياره على العاطفة والشهوة الجنسية فقط، دون النظر بعين التعقل وعواقب الأمور -في الغالب- هذا وأمثاله يبحثون عن زوجة أخرى- بحكم أن الشرع أباح لهم حتى الأربع نسوة.

والأصل أن الذي لديه زوجة يكون مكتفي جنسياً، ولكن الملل وحب التغيير، أو نزوة شهوانية، أو كثرة المال تدفعه للزواج بثانية وثالثة ورابعة، وفي النهاية سوف يصل إلى نفس النتيجة التي وصل إليها مع الزوجة الأولى، ولا يغالط نفسه، ويدعي أنه يريد سنة النبي ﷺ، أو يستر بنات المسلمين.

وإليكم هذه القصة:

رجل متزوج رأى فتاة تمشي في الشارع، فأعجب بها أشد الإعجاب، فذهب إلى بيت أهلها وطلبها للزواج، فرفضوا أشد الرفض لأنه متزوج وعنده أولاد، فمازال يغريهم بالمال والهدايا والوعود

والأماني قرابة السنة حتى وافقوا، وليلة الزفاف أخذ زوجته إلى بيته، وبدأ يسقيها الخمر مع العصير حتى لا تعرف، وهكذا يوماً بعد يوم حتى عرفت، فرفضت أن تشرب، فحاول مراراً أن يسقيها، فأصرت فضربها ضرباً مبرحاً، وكان يسب الله ورسوله، ويقول:

أنتم المحجبات قلوبكن سوداء، ولا تعرفون من الإسلام إلا الصلاة والحجاب.

وكلام غيره لا أستطيع ذكره، وعاشت معه شهراً كاملاً، ذاقت فيه كل أنواع الحرمان والفساد والرذيلة، مما اضطرها في ليلة من الليالي - بعد أن ثمل من الخمر، ونام للهروب- في منتصف الليل إلى بيت أهلها، وطلبت الطلاق، وطلقها بعد أن أخذ منها كل شيء، وعند القاضي عندما أراد أن يخلعها، سألته:

لماذا تزوجتني؟

فأجاب بكل بساطة: كنت أشتهي أكل التفاح، وأكلت التفاح.

اعذروني أيها القراء الأعزاء إن كنت قاسياً بعض الشيء، ولكن هذه هي الحقيقة، وهذا هو الواقع الأليم.

لذلك أسأل كل زوج يريد أن يعدد:

لماذا تريد أن تتزوج بزوجة ثانية؟

هل الدافع حقيقة سنة النبي ﷺ؟

إذا كنت فعلاً كما تقول، فإليك المنهج الصحيح لذلك.

ولكن قبل أن أذكر هذه المعالم أحب أن أسأل القارئ الكريم:

هل هذه القصص والنماذج التي مرت معنا كان أصحابها يريدون متابعة النبي ﷺ؟.

أو ستر بنات المسلمين ؟

إذا كنت حقاً تريد أن تحظى بالأجر الوفير من الله العلي القدير، ومتابعة الحبيب محمد ﷺ فإليك ذلك:

١-تحقيق الاكتفاء المادي، بحيث تكون ممن منّ الله عليه بوفرة المال، والتي سماها الرسول الله ﷺ (الباءة)، فإن المال يستر الكثير من العيوب، كما قال الشافعي رحمه الله:

تستر بالسخاء فكل عيب يغطّيه كما قيل السخاء

فليس من الحكمة والعدل أن تكون من الفقراء، وتسكن في غرفتين أنت وزوجتك وأولادك، وتريد أن تتزوج بزوجة ثانية لتسكن معكم.

أولاً: لن تستطيع أن تتخلص من الغيرة التي تكون بين النساء، بحكم التقارب والمعاشرة، وحب الذات، لأن كلاً منهن تريدك لنفسها فقط، وهذا لن يكون إلا بالغش والخداع والكذب، والافتراء على الأخرى.

ومعروف أن المرأة تحكمها العاطفة أكثر من العقل، ولذلك تراها

سريعة التذمر، كثيرة الغضب لأتفه الأسباب، هذا إذا لمح لها زوجها بأنه يريد أن يتزوج، فكيف إذا شاركتها فيه فعلاً امرأة أخرى.

هنا ستكون الأثرة والانفعال والغضب مضاعف، ولن تستطيع العدل بينهن مهما حاولت؛ لأن الغيرة سترافقهن على مدار الساعة.

كذلك لا تنسى أنك في زمان يحارب فيه التعدد علناً في المسلسلات والندوات، وبعض الدول التي تدعي أنها إسلامية تسمح بأن يكون لك عشيقة في الحرام، وتمنع من الزواج بثانية.

ولسنا ننكر أن المرأة جبلت على الغيرة فهذه أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن كان يقع بينهن مثل هذا، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على طبيعة المرأة وجبلتها التي لا ينبغي أن تحملها على ظلم غيرها.

وقد قال رسول الله ﷺ: **(إن المرأة الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه)** [رواه أبو يعلى، وأبو الشيخ، وقال الحافظ ابن حجر: إسناده لا بأس به].

هذا وأكثر منه سوف يزيد عندما تكون ضعيف الحال فقيراً.

قد تقول: هل كان النبي ذا مال وفير حتى استطاع أن يعدد ويعدل بين نسائه؟.

فنقول: هناك منزلة للنبي محمد ﷺ لا يستطيع أن يطاولها أحد مهما بلغ من التقوى والصلاح والعبادة، لأن الله كمّله خَلقاً وخُلقاً وسلوكاً

وتطبيقاً.

وقد وصفته السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: بأنه ﷺ كان خلقه القرآن [مسند الإمام أحمد، وصححه الشيخ الأرناؤوط].

وقد ثبت عنه ﷺ أنه ما ضرب امرأة ولا خادماً قط [صحيح بان حبان، وصححه الشيخ الرناؤوط].

وقد خير الله ﷻ نساء النبي ﷺ بين الاستمتاع بالدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة، فاخترن كلهن الدار الآخرة.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾

[الأحزاب: ٢٨-٢٩].

فخصوصية النبي ﷺ كانت في أن يجمع أكثر من أربع نساء، وكذلك استطاع النبي ﷺ معاشرتهن بالمعروف، رغم قلة ذات اليد طوعاً، ولو أراد النبي ﷺ جبال مكة ذهباً لصيرها الله له، ولكنه ﷺ اختار الدار الآخرة، والنعيم الأبدي في الجنة.

ثانياً: الكل يعلم أن معظم النساء في هذا الزمان لا تقبل بالرجل المتزوج إلا إذا كان ذا مال، لتعويض النقص الذي عنده، لأن الأغلبية

ممن ترضى أن تتزوج برجل متزوج وعنده أولاد تكون صغيرة في السن بالنسبة له، وفيها من الجمال وتكون من عائلة فقيرة، فتريد أن تخرج من هذا الفقر إلى الغنى، وهي تحسب أن هذا المال سيكون سعادة لها، وهكذا الإنسان في هذه الدنيا، يعتقد دائماً أن سعادته فيما فقده، وما إن يحصل عليه يجده سراباً لا قيمة له، أو ممن تجاوزت سن الزواج، فتقول في نفسها أتزوج ولو حتى برجل متزوج، لعل الله يرزقني بالولد، وأعيش في كنف رجل خير من الوحدة وتجرع الغصص والآلام، وكلام الناس الذي لا يرحم، وفي الغالب أن هذه الشريحة من النساء تخلص لزوجها وللحياة الزوجية.

ولكن للأسف الشديد، فإن كثيراً من الرجال الذين يتزوجون بالفتيات اللواتي بلغن سن العنوسة يكونون ذوي خبرة، ومتخمين على الصعيد الجنسي، أو عندهم شغف جنسي مؤقت، ولكن –عاطفياً- ما زالوا يشعرون أنهم في مصاف الشباب، وهم في الأربعين أو الخمسين من العمر.

لذلك تجد الكثيرين منهم، وخاصة الذين يتزوجون من نساء مطلقات، لا تعجبه ولا تشبع نزواته المتقلبة، لأنه طرأ عليها التغيير في الجسم ككل، أو قد تكون بكراً، ولكن عندما خلا بها لم يجد ما يجذبه إليها، مما رآه في الشاشات والمسلسلات والأفلام الخليعة من نساء فاجرات يعرضن أجسادهن للفتنة وإغواء الشباب في الرذيلة والفساد.

وهنا تكون للشيطان صولة وجولة حيث يبغض في نفسك الحلال، ويحلي الحرام، وتبدأ تقارن بين ما في النفس من تطلعات وأوهام، وبين الزوجة الثانية، فيشعر بالغبن وسوء الحظ، فتارة يقنع نفسه، وتارة يشعر أنها عبء عليه، فيريد أن يتخلص منها.

وطبيعة الإنسان الهوائي المتقلب أن يكون تمسكه بالزوجة الثانية كما هو الحال مع الزوجة الأولى لظروف كثيرة، مثل: الأولاد أو الأهل أو حالات اجتماعية أخرى.

فينعكس ذلك على نفسيته وسلوكه، وينقلب الود إلى تتبع العثرات والسقطات، ويبدأ لا شعوريا بالتضييق عليها وينفد صبره، وينفعل لأتفه الأسباب، فهل هذا تزوج متابعة للنبي ﷺ، أو ليستر بنات المسلمين كما يدعي؟.

إن الذي يحكم تصرفات هذا الإنسان الهوى والشهوة، أو نزوة جنسية عابرة، أو التجربة القائمة على اللامبالاة وعدم الشعور بالمسؤولية، وهو وهذه المرأة التي تزوجها ليتلاعب بها أو يتسلى سوف يقفان أمام الله يوم القيامة، وتأخذ حقها من حسناته، فإذا لم يكن له حسنات أخذ من سيئاتها وطرحت عليه، ثم كُبّ في النار.

ولا تستبعد هذا الكلام، فإن الله أدخل امرأة النار في هرة (قطة) حبستها، فلا هي أطعمتها، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض.

لذلك أقول لكل من يريد أن يعدد، اتق الله في نواياك وتعاملك مع من اخترتها بطوع إرادتك زوجة لك وأماً لأولادك.

وإذا كنت حقاً تريد أن تتبع سنة النبي ﷺ في التعدد، وتنال الأجر العظيم في الدنيا والآخرة، وتستر على بنات المسلمين.

فكن منطقياً في طلبك واختيارك، ولا تبحث عن الفتاة الجميلة، صغيرة السن، فإن هذه الفتاة أمامها فرص كثيرة في الزواج من العزاب، والشبان القريبين من سنها.

أما المطلقات أو من فاتهن قطار الزواج، فهن بحاجة إلى من يعيلهن ويغدق عليهن من حنانه وعطفه، ويربي أولادهن- إذا كان لهن أولاد- هذا الذي يسعى لاتباع سنة النبي ﷺ، وستر بنات المسلمين ولذلك عليه اتباع الآتي:

١- اليقين من نفسك بأنك تستطيع العدل بين النساء على الصعيد المادي والمبيت، أما الحب فهذا شيء خارج عن إرادتك، فلا تسأل عنه.

لذلك كان من دعاء النبي ﷺ: (**اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طاقة لي فيما تملك ولا أملك**) [رواه أصحاب السنن وابن حبان].

أما قوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء:١٢٩].

فالمراد منها أن العدل المطلق في هذا الأمر ليس في طوق البشر، لأن طبع الإنسان وهواه لا سلطان للإنسان عليهما، فقد تكون إحدى الزوجات أجمل،أو أحسن خلقاً، أو أصغر سناً...إلخ.

فتكون أقرب إلى قلب الزوج من الأخرى، وهذا ما لا يؤاخذ الله به، أما أن يترتب على ذلك أن يحرمها من حقها في المبيت أو النفقة، فتصير كالمعلقة – التي لاهي متمتعة بزواجها، ولاهي مطلقة- فذلك حرام على الزوج، وظلم منه، لأنه حينئذ مال كل الميل.

وما يتشدق به الجهلاء بالدين من أن هذه الآية تصلح دليلاً لتحريم الزيادة على واحدة، فإن الرد عليهم يكفي أن يقال لهم:

هذا فهمكم وحدكم من أجل إرضاء المرأة ومتابعة الأفكار المريضة والعقول الخبيثة.

ولو كان هذا هو المراد ما تزوج النبي أكثر من واحدة، وما تزوج أحد من الصحابة والتابعين وأئمة الدين أكثر واحدة، مع أن كثيرين قد زادوا على الواحدة، وذلك ثابت من واقع التاريخ، والآية فسرها النبي ﷺ في الحديث السابق، هدانا الله سواء السبيل.

وهذا في حال الخلوة مع إحداهن، أما إذا اجتمعن في مجلس واحد، فيجب عليك العدل في النظر والابتسامة والقرب والبعد والكلام، وغير ذلك.

قال أحد الحكماء: إذا عامل الرجل امرأته بالصبر فاز بها، وأصلح حياته، وإن عاملها بالجزع خسرها، وأفسد حياته.

وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه متزوجاً من امرأتين، فإذا كان عند إحداهما لا يشرب ولا يتوضأ في بيت الأخرى.

ثم توفيتا في يوم واحد في طاعون عمواس بالشام، والناس في شغل، فحفر لهما حفرة، ثم أسهم (ضرب القرعة) بينهما أيتهما توضع في القبر أولاً.

كثرة العتاب تورث البغضاء، وتطرد الود من البيت، فاجعل عتابك في ابتسامتك وأفعالك.

امرأة تشكو فتقول: زوجي يعاتبني في كل شيء أفعله حتى في تنفسي للهواء.

وتقول أخرى: زوجي لا يعجبه شيء فيّ، وكثرة عتابه كرهتني في الحياة معه تحت سقف واحد.

تحدث رجل إلى امرأته فأخطأ في حقها، فشعر بخطئه فتوقف عن الحديث وأمسك بيديها، وقال: سامحيني... فقد قرأت في الحكمة: أن الإنسان كلما كثر كلامه كثر خطؤه، فابتسمت زوجته وقالت:

غفرت لك لطيب قلبك، وحسن حديثك.

٢- إخلاص النية، وذلك يكون من البداية عندما تفكر في الزواج

بزوجة ثانية، أن تجعل زواجك لله تعالى، وابتغاء مرضاته- وذلك بعد أن تراها الرؤية الشرعية، وتقتنع بها- هنا يجب عليك أن تتجاوز عن عيوبها ونقائصها، وتعاملها أفضل معاملة، فإنك لا تدري أين الخير.

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء:١٩].

والأصل في ذلك أنك تزوجتها لله، ومتابعة لرسوله، وستر بنات المسلمين، فإذا صدقت في نيتك، فلا حرج عليك بعد ذلك في حب ملك قلبك، أو رغبة جنسية عارمة تريد إطفاءها، أو أن تحقق السكن الذي قد تكون فقدته مع الزوجة الأولى بسبب انشغالها بأولادها – فإن معظم النساء في مجتمعاتنا الإسلامية لديهن عدم توازن ما بين الزوج والأولاد، فتراها تعيش مع زوجها في الأيام الأولى مابين أناقة ونظافة وعطر وتلبية لاحتياجات زوجها، فإذا جاءها المولود الأول انشغلت به ٥٠٪، والثاني ٥٠٪، والثالث يكون الزوج قد كره حياته وبدأ يفر من البيت الذي أصبح بالنسبة له مصدر إزعاج، والزوجة ليست هي الزوجة التي تزوجها قبل سنوات.

لذلك يجب عليك التجاوز عن النقص الذي قد يكون بعد الزواج من الزوجة الثانية مثل:

١-اختلاف في لون الجسم أو الأماكن الحساسة

٢-عدم التوافق الجنسي في البداية بسبب العنوسة، أو أنانية الزوج الأول.

٣-مراعاة شعورها، وعدم الإهانة أو التجريح مثال:

أ- أنتِ إنسانة أكل عليك الزمان وشرب، أو غير ذلك...إلخ.

ب- أو تعيرها بأشياء في الخلق مما لا تستطيع تغييره؛ لأنه قسمة الله لها، وهذا كله يكون بعد أن تكون رأيتها الرؤية الشرعية، واقتنعت بها من حيث الشكل والطول والجمال، وهذا ما يظهر لك عادة، أما الأخلاق والطباع فهذا لا تستطيع معرفته بمجرد رؤية أو جلسة عابرة وإنما يكون من خلال التعرف على أخلاق أفراد الأسرة، كالأم والأب والإخوة والأخوات، فإذا كونت فكرة عن هذه المرأة، وكانت إيجابية، وجب عليك القناعة التامة مهما كانت النتائج، لأنك تزوجتها لله، ومتابعة لرسوله، وستر بنات المسلمين.

قد تقول بأنك لست مضطراً لتعيش مع امرأة لم تحبها، أو لم يعجبك شيء في سلوكها، ولماذا أباح الله الطلاق؟.

سئل حكيم: لماذا يكره الله الطلاق؟.

قال: لأن فيه خراب البيوت، وتشريد الأبناء.

وقال آخر: الطلاق نار، فاحذر أن تحرقك.

أقول لك: هذا يكون في الزواج الأول، وعندما كنت لا تريد من الزواج إلا الإشباع الجنسي.

أما وأنت في حالة من الإشباع الجنسي، أو الهدوء النسبي، أو الاستقرار، فليس هذا من حقك.

لأنك لست مضطراً لتتزوج بتلك المرأة ثم تتركها بعد أيام أو شهور تتجرع غصص الطلاق، وكلام الناس، هذا حرام تحاسب عليه.

لأنك في الأصل- وكما شرحنا سابقا- تريد الزواج طمعاً في ثواب الله، ومتابعة رسوله ﷺ وستر بنات المسلمين.

فهل هذه المرأة التي تزوجتها بهذه النية تستطيع أن تطلقها أو تقهرها أو تتبع عثراتها، أو تخون الله في عهده وميثاقه الذي أخذه عليك.

للأسف هذه هي المغالطة التي يقع فيها غالبية المسلمين ممن يعددون – إلا من رحم الله- يريد أن يتزوج امرأة كما يحب ويهوى، وتكون كاملة مكملة من كل الجوانب، فإذا تزوجها ووجد فيها بعض النقص الذي يعتري جميع النساء، أراد تطليقها أو هجرها، أو جعلها على الهامش من حياته، أو يبدأ في مضايقتها وهضم حقوقها حتى تمل وتطلب الطلاق، وتتنازل له عن كل شيء لها عليه.

هذه جريمة في حق هذه المرأة التي هي أخت له في الإسلام، وعنصر في الإنسانية وزوجة لك وأم لأولادك.

عليك أن ترضى بهذه المرأة التي اخترتها بطوع إرادتك مهما كانت صفاتها، ومهما كان فيها من السلبيات، هل تدري لماذا؟، لأنها قسمة الله لك، ولو لم تقسم لك لما استطعت أن تتزوجها مهما فعلت، هذه أمانة عندك- هل تدري من ائتمنك عليها- إنه الله الذي قلوب العباد بين إصبعين من أصابعه يقلبها كيف يشاء، واعلم أن إحسانك إليها، وصبرك عليها، وتطييب خاطرها سوف يجعل حياتك سعادة ورزقاً، وستعم البركة أرجاء البيت كاملاً.

قيل لأبي عثمان النيسابوري: ما أرجى عملك عندك ؟ قال: كنت في صبوتي يجتهد أهلي في تزويجي فأرفض، فجاءتني امرأة فقالت:يا أبا عثمان ! إني قد هويتك وانا أسألك بالله أن تتزوجني، فأحضرت أباها وكان فقيرا فزوجني وفرح بذلك، فلما دخلت علي رأيتها عوراء عرجاء مشوهة، وكانت لمحبتها لي تمنعني من الخروج فأقعد حفظاً لقلبها، ولا أظهر لها من البغض شيئاً، فبقيت هكذا خمس عشرة سنة حتى ماتت، فما من عملي شيء هو أرجى عندي من حفظي قلبها.

وإلا لو أن كل رجل تزوج بامرأة مطلقة أو عانس، ثم بعد فترة وجيزة طلقها، فما الذي يكون قد فعله سوى أنه ساهم في فساد المجتمع، وانتشار الرذيلة، ورسم صورة مغلوطة عن الزواج والتعدد في

قلوب النساء المؤمنات حتى تود إحداهن البقاء في بيت أهلها عانساً، أو مطلقة مرة واحدة، ولا يكون مصيرها كذلك.

كن قريباً من زوجتك، فإن طول الغياب يطفئ حرارة الحب.

وقيل في الحكمة: لا تطل البعد عن امرأتك، فيخلو قلبها من حبك.

وقيل: الحب نار تشتعل بالقرب، وتنطفئ بالبعد.

وإليك هذه القصة:

شاب بلغ العشرين من عمره، وكان محصناً لنفسه، فأراد أن يتزوج، وبحث عن زوجة متدينة دون النظر إلى أي اعتبارات أخرى، وذلك لفهمه القاصر، وتزوج وأنجب خمسة أطفال، ولما بلغ الثانية والثلاثين من عمره أراد أن يتزوج امرأة أخرى، وكان الهدف من زواجه البحث عن امرأة جميلة، بغض النظر عن أي صفات أخرى وبعد ثلاث سنوات من البحث وجد فتاة في ريعان الشباب تبلغ من العمر تسعة عشر عاماً، قد جمع الله بها من الصفات الجميلة والخلقية والعقلية، فأسرت قلبه، وملكت عليه مشاعره وجوارحه، وعقد عليها واستمرت مدة الخطوبة شهرين، وقبل الزواج بيومين انتهى كل شيء، بسبب كذب الزوج ووشاية أهل الزوجة الأولى، ومابين مد وجزر كانت النهاية الطلاق، عاش الزوج بعدها ثلاث سنوات من المعاناة والحالة النفسية المدمرة

محاولاً نسيانها، ولكنه بقي على الأمل إلى أن تزوجت، عندها نصحه بعض الأصدقاء بأن الحل لهذه المشكلة أن يتزوج غيرها حتى ينساها، واستجاب للفكرة، وبدأ بالبحث من جديد، ولكنه كان قد ألغى من بحثه المطلقة أو الأرملة والعانس، ولكن قدرة الله فوق كل شيء، فقد عرضت عليه امرأة أرملة ولديها ولدان، في البداية رفض أشد الرفض، فقالت له الخاطبة انظر إليها، فإذا لم تعجبك خرجنا وكأن شيئاً لم يكن وذهب ورآها من الناحية الجمالية لا غبار عليها، وفي غضون أسبوع عقد عليها وتزوجها، وليته لم يفعل فقد كانت أسوأ النساء خلقاً وسلوكاً، ورأى منها ألوان العذاب والغدر والكذب والكيد، فقد كانت من المدخنات، ولم يعلم ذلك إلا بعد الزواج، فوعظها، وصبر عليها، وحاول معها أن تتوب وترجع إلى الله، وتكون الزوجة الصالحة وتحمل من سفاهتها الكثير، ولكن دون جدوى، فهددها بالطلاق، فلم يزدها ذلك إلا عناداً، وسوء خلق، وكانت دائماً تحن لأولادها الذين كانوا يعيشون عند أهل زوجها الأول، وأخيراً قالت لا أستطيع البقاء عندك بدون أولادي، وطلبت الطلاق فطلقها، وعاد كما بدأ بالبحث عن زوجة أخرى، وبعد سنة تزوج بفتاة مطلقة تبلغ من العمر خمسة عشر عاماً، وعاش معها شهرين، ثم سافر وأرسل إليها لتحضر إلى طرفه، فرفضت، وقالت:

لا أستطيع أن أترك أمي.

فقال لها: أنا لم أتزوجك لتكوني أنت في بلد، وأنا في أخرى.

فأجابته: هذا قراري، ولن أتراجع عنه.

فتركها قرابة الستة أشهر، ثم خيرها بين السفر حيث هو أو الطلاق، فطلبت الطلاق.

فقال لها: لا أطلقك حتى تدفعي لي ما صرفته عليك من مهر، ومؤخر الصداق.

فأجابت: ليس لك عندي أي شيء.

وقدمت فيه شكوى غيابية في المحكمة، واتهمته بأرذل الصفات، فعلم ذلك من خلال اتصاله بأخيه، فطلب منه على الفور أن يطلقها.

وبعد أشهر بحث عن زوجة أخرى، فوجدها! فتاة في غاية الجمال، وأعجب بها، فطلبها ووافقت، ولكن اشترطت أن يكتب لها شقة باسمها، فقال لها:

اطلبي من المهر ما شئت ،ولكن أكتب الشقة باسمك فلا.

فرفضت، وأصرت على طلبها، فتركها وهو في غاية الانزعاج، فأراد أن يخفف عن نفسه، فذهب لزيارة عمته فوجد عندها فتاة لم يرَها من قبل، فسأل عمته من تكون، فأجابته: هذه ابنة ابني التي طلقت أمها، ورمى الأب أولاده في الشارع، فضممتهم إلي ابتغي الأجر في تربيتهم، وقدمت له الفتاة فنجاناً من القهوة، فقال لها على الفور:

هل تقبلين بي زوجاً؟

فأجابت: لا.

فسألها: لماذا؟

فأجابت: أنت رجل مزواج مطلاق.

فقال لها: اجلسي لأشرح لك قصة زواجي ممن سبقك، وهل كنت أنا المخطئ أم أولئك النسوة، وقص عليها ما كان من زيجاته السابقة.

وقال لها: احكمي أنت.

فأجابت: أمهلني حتى الغد.

وعاد إلى بيته، وإذا بجرس الهاتف يرن، فرفع السماعة، فإذا بتلك الفتاة تجيب:

أنا موافقة.

فعقد عليها وتركها وسافر، وبعد سنة تزوج، وفي ليلة الزفاف رأى منها ما جعله ينفر منها، ولكنه قال في نفسه: هذه إنسانة مكسورة الجناح طيبة، محرومة بكر، والناس لن تجد لك مبرراً بعد ذلك، وقرر أن يكمل مشوار الحياة الزوجية مع هذه الفتاة، وأنجب منها طفلاً، وعاشت معه في غربته سنة كاملة، ثم رجعوا إلى بلادهم، ولما أراد العودة إلى غربته قالت: أنا سأبقى هنا بجوار أمك، لأنني لا أستطيع أن أعيش أنا وزوجتك الأولى في منزل واحد، مما جعله يوافق على ذلك،

لأن ظروفه المادية ساءت، وبعد أشهر عاد إلى بلده ينوي أن يعوض تلك الفتاة عن الفترة التي تركها فيها، وفعلاً تم ذلك، ولكن تصرفات تلك الزوجة لم تكن طبيعية، فسألها:

هل بك شيء؟

فأجابت: نعم، أريد أن أصارحك بشيء، ولكني خائفة.

فطمأنها، واعترفت بأن أخاه الأصغر حاول التهجم عليها أكثر من مرة، فجن جنونه، وجمع أخاه وزوجته واستجوبهم.

فقال الأخ مدافعاً عن نفسه: بل هي من راودتني عن نفسي، وحلف بالأيمان المغلظة.

وظهرت الحقيقة بأن الاثنين مشتركان في الجريمة، فطلقها وجلد أخاه ثمانين جلدة، وانتهى من ذلك بحزن شديد، وقرر في نفسه بأنه لن يكرر مثل هذا الزواج، ورجع لزوجته الأولى التي عانت منه جميع الآلام والأحزان من زيجاته الفاشلة وغير المتأنية.

وبعد سنوات سافر إلى بلده وترك زوجته وأولاده لأمر يريد قضاءه، واستمر في سفره ثلاثة أشهر، وفي أثناء تلك الفترة جاءت إليه امرأة في الثامنة والثلاثين من العمر، وطلبت منه أن يتزوجها، فرفض أشد الرفض، وعادت كرات ومرات، فكان الرد أنا غير مستعد للزواج من كل النواحي المادية والمعنوية والنفسية، فقالت:

أنا مستعدة أن أعيش خادمة لزوجتك.

المهم أنقذني من هذا الجحيم الذي أعيش فيه، فقد كانت زوجة لرجل يعمل في ملهى ليلي، وأنجبت منه ولدان وبنت، وذاقت معه أنواع العذاب و الفجور والحرمان، وفي النهاية طلبت الطلاق وطلقها، وعاشت مع أمها الفاجرة التي أرادت منها أن تعمل في الدعارة، وتأخذ المال مقابل ذلك بحجة أنها لا تستطيع أن تقوم بالنفقة عليها، وعلى أولادها، ورق لها قلبه، وقال لها:

أتزوجك، ولكن بشرط أن يبقى هذا سراً.

ووافقت، وتزوجها وعاش معها شهراً كاملاً، رأى في هذه العائلة من الريبة وعدم الالتزام بالآداب الشرعية ما تحمر له السماء، ولكن المرأة كانت طوع أمره، وتركها وسافر، وبعد ثلاثة أشهر كان قد وصل إلى الفقر المدقع، ولم يستطع أن يحضرها إلى جواره في مقر عمله في الغربة، فقال لها:

أنا تزوجتك من أجل أن أعيلك، وأكفيك النفقة، ولكن في ظل هذه الظروف القاسية لن أستطيع.

فطلقها، وانتهى من ذلك الكابوس المزعج الذي كان يعيش فيه بسبب أمها الفاجرة.

وهكذا انتهت سلسلة تلك الزيجات الفاشلة عند عمر يناهز السابعة

و الأربعين عاماً، وبدأ يراجع شريط حياته الذي كان مليئاً بالعبر والعظات، وعرف أنه أخطأ خطأ شديداً، وقد دفع الثمن من ماله ونفسيته وسمعته التي لا تقدر بثمن، كل ذلك من أجل الشهوة، وحب التغيير، والبحث وراء الجمال الذي كان وبالاً عليه.

نستنبط من هذه القصة:

١- أن هذا الإنسان تزوج من البداية من أجل الجمال فقط، دون مراعاة للعوامل الأخرى، ولذلك لم يوفق في زواجه لسوء الاختيار الذي كان يرافقه في كل زيجاته.

٢- لقد كان بعيداً كل البعد عن الهدف الذي من أجله شرع الله التعدد، فلا هو تزوج متابعة لرسول الله ﷺ، ولا ليستر بنات المسلمين، إنما كان القصد من زواجه الشهوة وحظوظ النفس، والاستمتاع بالنساء دون النظر في عواقب الأمور.

٣- فقدان الاستقرار والراحة التي كان يعيشها مع زوجته الأولى، وخسارة أمواله، وتحطم قلب و نفسية الزوجة الأولى التي صبرت عليه وعلى زوجاته صبراً لا تطيقه الجبال، مخافة هدم هذه الأسرة وتشريد الأولاد.

٤- الرجولة لا تقاس أبداً بتعدد والزوجات، وإنما بالوعي والإدراك وحسن التصرف، والنظر في عواقب الأمور، ومخافة الله في بنات

المسلمين – وإن كن سيئات- فهو الذي اختارهن ودفع ثمن اختياره الخاطئ.

٥- عقاب الله له حيث جعل أقرب الناس إليه يدنس شرفه وسمعته، ويتجرأ على إحدى زوجاته.

٦- يقول هذا الزوج: والله الذي لا إله غيره، ما سعدت مع زوجة منهن، حتى الاستقرار والهدوء الذي كنت أعيشه مع زوجتي الأولى فقدته بسبب تلك الزيجات الفاشلة.

وإذا كنت قد فقدت مع زوجتي الأولى ٤٠ ٪ مما كانت نفسي تطمح إليه من الدلال والغنج، وبعض القصور في الجمال، فقد خسرتً أكثر من ٧٠ ٪ مع الزوجات الأخريات اللاتي لم يكن لهن هم إلا المال، حتى الجنس كرهته بسبب تعاملهن وأخلاقهن السيئة، والتعالي علي دون مبرر لذلك، فقد كنت أعلم منهن واتقى لله ﷻ، وكنت دائما أحاول نصحهن بالمعروف، والصبر عليهن، وعلى أذاهن، ولو كنت أعامل زوجتي الأولى، كما كنت أعاملهن لكانت من أفضل الزوجات ولكن أعترف بأني كنت في غيبوبة من الانبهار الكاذب، ومغالطة الواقع، والعيش على الأماني المزيفة فهل من معتبر.

إن الله ابتلى الرجال بالقتال، وهو كره لهم.
وابتلى النساء بالتعدد، وهو كره لهن.

إذن أيتها المرأة التي ترضين بأن تكوني الزوجة الثانية لرجل متزوج عليك:

١- أن تحسني الاختيار.

٢- معرفة نواياه من هذا الزواج

٣- هل هو على مستوى من الوعي والتقوى والعدل.

٤- أن يكون على مستوى من الصبر والحكمة والحنكة بحيث يرضي جميع زوجاته دون ظلم أو قهر أو إهانة لأن الرجل الحقيقي هو الذي يستطيع أن يخضع المرأة دون أن يقهرها.

وإذا كانت الغيرة شيئاً فطرياً في داخلك، فعليك تهذيبها ابتغاء مرضاة الله، وعدم السماح للنفس الأمارة بالسوء بالتمادي على حساب الزوجة الأخرى، فإن المرأة المتدينة هي التي تحب لغيرها ما تحبه لنفسها.

وأقولها لك صراحة: لن تنجحي في زواجك وتحافظي على زوجك مدى الحياة إلا إذا:

أحسنت النية في زواجك، وذلك بأن تقبلي هذا الرجل زوجاً لك لشخصه، لا لماله، أو جماله، أو إزاحة الزوجة الأولى من طريقك، ليكون لك وحدك، فإن هذه النوايا السيئة ستجعل زوجك يبغضك، ويشعر في داخله أنك عبء عليه، ولن تسير الحياة الزوجية بالهدوء

والصفاء المرجوين، وستتقد نار الضغوط عليه منك ومن زوجته الأولى، فتحرق الأخضر واليابس، وأول من يصطلي بحرها هو أنت، لأن الزوجة الأولى في الغالب ضمنت عدم طلاقها لطول العشرة والأولاد، والفهم الجزئي لاحتياجات الزوج.

أما الزوجة الثانية، ففي الغالب لا تملك ذلك الرصيد، فإذا لم تحسن عشرته، وتتواضع له، وتعوضه عن النقص الذي يشعر به مع زوجته الأولى، فمن السهل جداً أن يفرط بها، وخاصة إذا كانت تثير المشكلات بشكل دائم، وكان هدفها من الزواج بهذا الرجل جمع أكبر قدر من المال – بحجة أنها تريد أن تؤمن مستقبلها- أو بعد الاطلاع على بعض عيوبه، تحاول التنقيص من قدره، أو تجرح مشاعره ورجولته، أو تتهمه دائماً بأنه لا يعدل، أو تتابعه عبر الجوال والهاتف في أثناء غيابه عنها، لتعرف هل هو في عمله، أو عند زوجته الأخرى، كل هذا وأمثاله قطع لأواصر المحبة بينك وبين زوجك، وإيجاد تباعد بينكما مع مرور الأيام تكون عاقبته الطلاق.

يا نساء المسلمين اتقين الله، وارضين بقسمة الله لكن، فإذا الواحدة منكن كانت تحلم بزوج، بل ربما تكون فقدت الأمل في الزواج، فأعطاك الله زوجا تشاركك فيه زوجة أخرى، هي أخت لك في الإسلام، ووقع زواج زوجها عليها أشد ابتلاء للمرأة من أي شيء في هذه الدنيا، وإياك أن يخطر ببالك أنك أفضل منها شأناً، فإن هذا لا

يعلمه إلا الله الذي يعلم السر وأخفى.

فقد تكون نزوة في هذا الزوج، ولكنه يختلق الأكاذيب ليبرر لنفسه الزواج بامرأة أخرى، ولذلك يجب أن تعلمي أن ما حصل لهذه المرأة قد يبتليك الله به، ويتزوج عليك زوجك زوجة ثالثة.

فأحسني صحبتها، وعامليها كما تحبين أن تعاملك، واحتملي منها في البداية غيرتها الزائدة التي تكون بسبب وقع الصدمة عليها، فإن كل شيء يبدأ صغيراً ثم يكبر، إلا المصيبة تبدأ كبيرة ثم مع مرور الأيام تصغر، واعتقادها الخاطئ بأنك أخذت منها زوجها، ولكن لا عليك، فإن صبرت على جفائها وغضبها، واحتسبت الأجر عند الله، فإن الله قادر على أن يؤلف بين قلبيكما، ويذهب غيرتكما.

أو تعيش كل زوجة في بيت مستقل بعيدا عن الزوجة الأخرى، وتقنع نفسها، وتلجمها بلجام الشرع إذا خرج زوجها من بيتها إلى عمله، أو ليبيت عند الزوجة الأخرى، بأن تعيش ضمن دائرة مملكتها الصغيرة، ولا تتجسس، ولا تتابع أو تحاول إرسال رسائل نصية فيها حب وهيام وغرام، وهي تعلم أن هذه الليلة ليست ليلتها، وإنما تريد أن تشغل فكر زوجها، وتغيظ وتكيد الزوجة الأخرى، فإنك لن تجني من وراء ذلك سوى القلق والتوتر وحرق الأعصاب، هذا بالإضافة للآثار السلبية التي ستظهر عليك عند تعاملك مع زوجك. وفي النهاية:

١- تكونين قد أغضبت ربك.

٢- دمرت نفسيتك.

٣- جعلت زوجك يكرهك.

أشغلي نفسك بأشياء مفيدة، مثل:

١- قراءة بعض الكتب التي ترقق القلب، وتساعدك في نجاح حياتك الزوجية.

٢- ممارسة الرياضة يومياً، ولو لمدة ثلاثين دقيقة، فإنها أفضل معين لك -بعد الله- للراحة النفسية.

٣- حفظ آيات من القرآن الكريم، ولو حتى ثلاث آيات، فإن استمرارك على ذلك سيكون لديك رصيد ألف وثمانين آية في السنة.

٤- مشاهدة البرامج النافعة، والمفيدة في التلفاز.

٥- زيارة الأهل والأقارب بين الحين والآخر.

٦- الحرص على إرضاء وسعادة أم زوجك، فإن لها الأثر الكبير على ابنها.

٧- البعد تماماً عن نصائح الجاهلات، وما يوسوسن به من الأعمال والأفعال التي لا ترضي الله ورسوله.

أما الزوج فأقول له:

١- قيل في الحكمة: بيت بلا عدل سجن صغير.

٢- اتق الله في تعاملك مع زوجاتك، وأعلم أن الله سيحاسبك على كل صغيرة وكبيرة.

٣- العدل بين زوجاتك مهما كلفك ذلك، وإلا لا تدخل في تجارة خاسرة من البداية.

٤- كن ليناً لطيفاً، وتجاوز عن هفواتهن، فإن المرأة في الغالب لا تعني ما تقول حرفياً، وإنما ساعة الغيرة والغضب تجعلها لا تعي ما تقول، والأصل فيها أن عاطفتها تغلب عقلها، فمعظم تصرفاتها تكون صادرة عن عاطفة وغيرة متقلبة، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: (**إن المرأة الغيرى لا تدرك أسفل الوادي من أعلاه**).

٥- ابتعد عن المقارنة الآثمة التي تجعلك تحلم بالكمال البشري، فإنك لو تزوجت مائة امرأة لن تحقق ما تصبو إليه، وكن مستقل الشخصية، وعامل كل زوجة بحسب تركيبتها، فإن لكل امرأة كياناً، وتركيباً خاصاً بها، تختلف به عن الأخرى، لذلك عليك أن تشجع وترغب وتحفز لتفيض عليك تلك الزوجة من عواطفها ودلالها وغنجها وأنوثتها وطيب مقالها.

٦- الإهمال عدو المرأة الأول والأخير، فأظهر اهتمامك بها، ولو

برسالة من جوالك، ولا تجعل جلوسك مع أصحابك يأخذ وقتك كله، وكأن البيت بالنسبة لك عبارة عن فندق أو مطعم، وأعلم أن لزوجك عليك حقاً.

٧- الصراخ والغضب والاحتقار والإهانة سلاح الرجل العاجز الذي لا يجد حجة لإقناع زوجته، فيحاول أن يعوض النقص الذي عنده بارتفاع الصوت والسب والشتم... إلى غير ذلك، وإلا فإن الزوجة واقفة بجواره وتسمعه، وإذا كنت ترميها بتلك الصفات، فاعلم أنك تسب نفسك من حيث تعلم أولا تعلم، فأنت من أختارها بطوع إرادته.

بعض مشكلات زوجات النبي ﷺ:

سأذكر لك بعضاً من تعامل النبي ﷺ مع زوجاته، وكيف كان يعدل بينهن، ويحتمل آذاهن، ويصبر ويتجاوز عن هفواتهن، فهل لك عزيزي القارئ قدوة بمن تحبه أكثر من نفسك، ولا أشك في ذلك- أم أن قولك يخالف فعلك.

إن السعادة والخير والأجر العظيم في اتباع هدى النبي محمد ﷺ.

تروي السيدة عائشة وتقول: كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله للنبي ﷺ، فيضع فاه على موضع فيّ فيشرب، و أتعرق وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع في [رواه مسلم].

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقول لها: (**إني أعرف غضبك إذا غضبت، ورضاك إذا رضيت**)، قالت: وكيف تعرف ذلك يا رسول الله؟ قال: (**إذا غضبت قلت: يا محمد، وإذا رضيت قلت: يا رسول الله**)، قالت: صدقت، وإنما اهجر اسمك. [رواه أبو داود وأحمد وإسناده حسن].

عن أم سلمة أنها أرسلت بطعام في صفحة لها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فجاءت عائشة متزرة بكساء، ومعها فهر، ففلقت به الصحفة، فجمع النبي بين فلقتي الصحفة وهويقول: (**كلوا غارت أمكم**) مرتين، ثم أخذ رسول الله صحفة عائشة فبعث بها إلى أم سلمة، وأعطى صحفة أم سلمة عائشة. [رواه البخاري].

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: دعاني رسول الله ﷺ والحبشة يلعبون بحرابهم في المسجد في يوم عيد، فقال لي: **يا حميراء، أتحبين أن تنظري إليهم** ؟ فقالت: نعم، فأقامني ورائه. فطأطأ لي منكبه لأنظر إليهم، فوضعت ذقني على عاتقه، وأسندت وجهي إلى خده، فنظرت من فوق منكبه، وهو يقول: **دونكم يا بني أرفدة**، فجعل يقول: **يا عائشة هل شبعت**؟ فأقول: لا، لأنظر منزلتي عنده، حتى شبعت. قالت: وما بي حب النظر إليهم، ولكن أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي، ومكاني عنده، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو. [أخرجه الشيخان].

وكان الرسول ﷺ يداعب عائشة بترخيم اسمها، فيقول: **يا عائش**.

[رواه البخاري ومسلم].

وعن السيدة عائشة: قالت كنت أغتسل أنا ورسول الله في إناء بيني وبينه، تختلف أيدينا! فيبادرني حتى أقول: دع لي، دع لي ! قالت وهما جنبان. [رواه البخاري ومسلم].

تهدئة الغيرة عند بعض نسائه ﷺ:

وهذه أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تحكي قصة غيرتها من صفية بنت حيي، وإساءتها القول مع رسول الله ﷺ قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: خرجت مع رسول الله ﷺ، وأخرج معه نسائه، وكان متاعي فيه خف، فكنت على جمل ناج-يعني قوي- وكان متاع صفية فيه ثقل، وكانت على جمل بطيء فتباطأنا، فقال ﷺ: (**حولوا متاع عائشة على جمل صفية، وحولوا متاع صفية على جمل عائشة ليمضي الركب**).

فلما رأيت ذلك قلت: يا لعباد الله، غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (**يا أم عبد الله، إن متاعك كان فيه خف، ومتاع صفية كان فيه ثقل، فبطأ الركب، فحولنا متاعها على بعيرك وحولنا متاعك على بعيرك**).

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فقلت: ألست تزعم أنك رسول الله؟ قالت: فتبسم رسول الله ﷺ فقال: (**أفي شك أنت يا أم عبد الله؟**).

قلت: ألست تزعم أنك رسول الله، فهلا عدلت؟!!

فسمعني أبو بكر ﷺ، وكان فيه ضرب من حِدَّة، فأقبل علي يلطم

وجهي، فقال ﷺ: (**مهلا يا أبا بكر**).

قال: يا رسول الله، أما سمعت ما قالت؟

قال ﷺ: (**إن الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه**).[رواه أبن حبان].

وعن ميمونة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: خرج رسول الله ﷺ ذات ليلة من عندي، فأغلقت دونه الباب، فجاء يستفتح الباب، فأبيت أن أفتح له، فقال: (**أقسمت إلا فتحته لي**)، فقالت له: تذهب لأزواجك في ليلتي هذي، قال: (**ما فعلت، ولكن وجدت حقناً من بولي**). [رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى].

أريد أن أسأل كل زوج:

لو أن هذه المواقف حصلت لك، مع زوجتك، كيف سيكون التصرف منك؟؟؟

إننا نحتاج إلى إعادة حساباتنا، وبرمجة نفوسنا، والتواضع لله، وكسر الكبر والغطرسة، وحب الذات، والنظر بعين العقل والرحمة والرفق، ورفع مستوى الإيمان، فإن ما نحن عليه من الأخلاق يدل على أن هناك خللاً في الفكر أدى إلى اختلال التوازن في السلوك، وفصل الأخلاق عن العبادة، حتى إنك لترى من المسلمين من يحافظ على أركان الإسلام وهو يحسب أنه طبق الإسلام كله، فإذا اطلعت على أخلاقه وتعامله تكاد لا تصدق بأن هذا الشخص هو الذي يصلي

الصلوات الخمس في المسجد، ويصوم الإثنين والخميس، ويقرئ كتاب الله كل يوم.

لما ترى من تعامله السيئ مع زوجته، وإهانتها واحتقارها وسبها ولعنها ووصفها بأبشع الصفات.

هنا أقول له قف: فإن نبيك وحبيبك حدد الهدف من بعثته.فقال: (**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**).

وقال عليه الصلاة والسلام: (**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**).

وقد قرأت عنه ﷺ كيف يعامل زوجاته، ولا خير فينا إذا لم يكن ﷺ قدوتنا في كل صغيرة وكبيرة.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

التعدد لا يوجد إلا في فائض

إن الإسلام لا يجعل للمرأة حق الانفراد بالرجل، بينما يجعل الرجل منفرداً هو بالمرأة أو بالمرأتين أو بالثلاث أو بالأربع.

ونقول لهم في ذلك: إن هذه القضية عولجت اجتماعياً، وعولجت اقتصادياً، وعولجت صحياً، فلم يجدوا لها سوى ما قضى به الإسلام الحل المنطقي.

نقول: المرأة التي تعترض على هذا الحكم أهي متزوجة أم غير متزوجة؟

خمسة وتسعون في المائة من المانعات متزوجات، فنقول لها:

لا رأي لك، لأنك متهمة في إبداء هذا الرأي، لأنك لا تحبي الشريكة لك.

ولكن لنأخذ رأي من لم تتزوج، فهي تكون على الحياد.

ألا تكونين زوجة ثانية بدل أن لا تكوني زوجة ؟

فسيكون الجواب: نعم أكون زوجة ثانية بدل أن لا أكون زوجة، والثانية كذلك، والرابعة كذلك.

فلو أننا استفتينا النساء اللائي لم يتزوجن لما وجدنا واحدة منهن تكون على غير رأي الإسلام.

ولكن المرأة التي حصلت على رجل لا تحب أحداً أن يشاركها فيه.

إذن فالرجل ليس ضد المرأة، والدين ليس ضد المرأة، وإنما المرأة هي ضد المرأة.

وأيضاً فالتعدد منطقي وواقعي وفلسفي في أي شيء، ولا يمكن أن يتعدد شيء على شيء إلا إذا كان المتعدد فائضاً.

فإذا كان المتعدد فائضاً، فطبيعي أن يتعدد، وفائض يعني زائد عن الأصل.

ولنضرب مثلاً يقرب ما نقول: دخل جماعة هم عشرة في حجرة فيها عشرة كراسي، كل واحد أخذ كرسياً ولا خلاف.

فإذا دخل العشرة فوجدوا اثني عشر كرسياً، و أخذ كل واحد كرسياً وجلس عليه، ثم أخذ كرسياً آخر فاتكأ عليه.

لا يمكن أن يعدد لنفسه كرسيين: واحد للجلوس، وآخر للاتكاء إلا إذا كان هناك فائض. إذن... فالتعدد لا يأتي إلا عن فائض.

هذه القضية خدمتها الإحصاءات الحديثة، فحين جاءت الإحصاءات الحديثة بالبيانات، ولو استطاع أي واحد منا أن يعمل إحصاء في قطاعه السكني، أو في قريته، لوجد الإحصاء منطقياً، لأننا إذا نظرنا إلى عالم التكاثر في الكون، وعالم التكاثر نعرفه في الإنسان،

ونعرفه في الحيوان، ونعرفه في النباتات.

وجدنا أن هذا التكاثر ينشأ من لقائين:

- لقاء الموجب بالسالب
- أو: لقاء الذكر بالأنثى. أي: اللقاح بين ذكر وبين أنثى.

فإذا ما نظرنا بالاستقراء إلى مفردات الذكران، والى مفردات الإناث، وجدنا دائماً أن الإناث هن الكثيرات، والذكورة محصورة، وقد تكون في واحد أو اثنين.

وقلنا: لننظر إلى مزرعة النخيل، ثم نضع إحصاء لعدد النخلات الأنثى، وعدد النخل الذكر.

نجد أن النخل الذكر في المائة مرة يكون واحداً، ومرة يكون اثنين، ولم يصلوا ثلاثة إلا عشرة في المائة، والباقي إناث... لماذا ؟

لأن الذكر يخصب أكثر من أنثى، والأنثى لا تخصب من ذكرين، وكذلك إذا ما جئنا لمائة بيضة، وفرخناها، ثم أحصينا ما فيها من الديوك، وما فيها من الدجاجات، وجدنا أن عدد الإناث أكثر من عدد الديوك.

أمر طبيعي في عالم التكاثر.

كذلك في الإنسان، فالإناث عددهن أكثر من عدد الرجال.

هـذا إذا صـرفنا النظـر عمـا يطـرأ علـى جـنس الـذكور، وإن كـانوا متساوين مع الإناث- من التعرض للجهاد والصدمات والقتال و... إلخ

إذن... فعنصر الإنـاث أكثر دائماً من عنصر الرجال، في كـل عـالـم من عوالم التكاثر.

فإذا كان الأمر كذلك، ولا تعدد إلا عن فائض، فسنقول لمن يقـول هـذا: أعـط كـل ذكـر أنثـى، ستجد الفـائض مـن الإنـاث مـا موقفهـا فـي المجتمع؟

موقفهـا فـي المجتمـع: إمـا أن تعـف فتكبـت، ومعنـى تكبـت: أنهـا تستطيع أن تكتم السبب الأصيل، ليحصل تنفيس بأسباب فرعيـة أخرى، والسبب الأصيل لا يوجد.

هذا التنفيس سيكون إثارة الفتن والقلاقل في بيئاتها وخاصة البيئات القريبة.

فإذا كانت فتاة ولها أخ متزوج، وهي لم تتزوج، ونحن نعرف كثيراً مـن المآسـي مـن هـذه المـسائل، وتأخـذ فـي جانبهـا الأم، وتعكـر صـفو الحياة كلها، لا بسبب أنهـا لـم تتزوج؛ لأن هـذا السبب مكتوم، والحياء يمنع من إظهاره، ولكنه يأخذ أسباباً شتى.

أسباب شتى نواجهها بالحلول، ونواجهها بالعلاجات، ومع ذلك لا تشفى؟ ! لأننا نعالج في غير الداء.

إذن.. فالإسلام جاء ليمنع هذه الكارثة، مادام لا فائض إلا بتعدد، فلابد أن توضع قضية لذلك المتعدد، لفائض ذلك المتعدد، فوجد الإسلام أنه يجب أن يشرع بأن يتزوج الرجل اثنتين، أو يتزوج إن اضطر ثلاثة، أو يتزوج إن اضطر أربعة.

فإذا ما جئنا لامرأة عفت، فإنها ستكبت.

وإذا أردنا أنها لا تعف، فمع من يكون ميدانها؟

سيكون ميدانها مع متزوج، أو فتى لم يبلغ بعد حتى حقل مرحلة احتمال تبعات الحياة، وبذلك يفسد المجتمع كله.

همسة في أذن المعددين

ولماذا أبيح التعدد للرجل؟

وحرم ذلك على المرأة!

انتهينا في الفصل السابق من الرد على المسألة التي يثيرها خصوم الإسلام ليثيروا حفيظة المرأة ضد دينها، في مسألة التعدد.

وقلنا في نهاية ما قلناه: إن التعدد لا يوجد إلا في فائض، وضربنا الأمثلة المتعددة على أن جنس الأنثى هو زائد دائماً على جنس الذكورة، سواء كان ذلك في النبات، أو في تفريخ الدجاج.

وحين انتهينا إلى ذلك قلنا: إن قضية الإسلام في تصفية هذا الأمر قضية طبيعية لجانبين:

الجانب الأول: هو حل إشكال الفائض، ولا أقول إشكال الفائضين؛ لأن الفائض لم يطرأ على من شرع، ولكنه بعلم المشرع الأعلى أنه سيوجد فائض في مرحلة.

إذن.. فالفائض لحكمة، وهذه الحكمة لجأ إليها كثير من الدول الآن حين وجدوا نقصاً كثيراً في عدد الرجال نتيجة للحروب وغيرها، فأحبوا أن يعددوا حتى يوجد الرجل الواحد مخصباً لعدد زائد من الإناث.

وقلنا أيضاً: إن السبب في هذه الحملة ليس في تشريع التعدد،

ولكن في آثار هذا التعدد في الأُسر.

فأخذوا من واقع الآثار ما ينفر من أصل الحكم، و تبعاته دائماً تعود إلى المسلمين.

لأن المسلم الذي عدد نقول له: إنك عددت بحكم الله، وبإباحة الله لك أن تعدد، فهل التزمت حكم الله في كل الأمر؟!

أخذتَ التعدد بحكم الله، فلماذا لا تأخذ العدالة بين المتعددات بحكم الله؟!

لماذا أخذت ما يمتعك ويريحك بحكم الله ؟ وقلت: الله شرع التعدد، وحين عددت لم تعدل، ولم تقل: الله شرع العدل ؟!

إذن فقد أرحت أيها المعدد نفسك، وأرحت نزواتك ولم تحترم الدوافع الإنسانية الأخرى في زواجك، فقد أخذت لنفسك المتعة، ثم أبقيت للإسلام أثر متعتك استدراكاً ونقضاً، لأن آثار تعددك بقيت، لأنك ضيعت حكم العدالة بين المتعددات.

ولكن لو أنك أخذت الحكمين معاً، واحترمت أمر الله في العدل كما احتججت إليه في التعدد، فعدلت بين زوجاتك، لم تجد النساء اللائي يثرن على التعدد لسخطهن، لأنهن سيجدن حظهن لم يؤثر فيه حظ الأخريات، وعيشهن لم يؤثر فيه عيش الأخريات، وحفاوتك بالأولى لم تؤثر فيها حفاوتك بالأخرى.

وأيضاً تبعات الزواج من الأولى – وهم الأولاد- لم تتأثر أيضاً، لأنك عدلت فسويت بين كل الذرية.

ولكن حين تأخذ حكم الله في التعدد، ولا تأخذه في العدل، تنشأ تلك الآثار المنفرة البغيضة التي يستغلها خصوم الإسلام، ولو أن خصوم الإسلام لم يجدوا للتعدد هذه الآثار المنفرة، لما أخذوه حجة ليدخلوا منها ضد الإسلام.

فانظر أيها المسلم كيف أعنت خصوم الإسلام على الإسلام.

أعنت خصوم الإسلام على أن يدخلوا على نقض قضايا الإسلام، ليشوهوا لا الأمر المتعلق بالمطبِق، ولكن القانون المطبَّق.

والعدالة تقضي أن لا ننظر إلى القانون من زوايا المطبقين، لأن المطبقين قد يكونون طائعين، وقد يكونون عاصين.

فإذا كانوا عاصين فلا تأخذ من عصيانهم حجة تبرر بها السخط على ما شرع الله من سنن، وعلى المسلم أن يعتبر نفسه في كل قضية من قضايا دينه داعياً إلى الله، أو صاداً عن دين الله، فإن هو طبق ما أخذه عن الله من منهج بحق كان أسوة للغير، فلا يجرؤ واحد أن يدخل على الدين من ناحية المتدينين، ولا على الإسلام من ناحية المسلمين.

وأيضاً، فان الذي يختار بين أمرين لا بد أن تكون عنده حجة في ترجيح أحد الأمرين على الآخر.

فالمرأة التي لم تتزوج ثم يأتي لها رجل متزوج ليخطبها، لو أنها استطاعت أن تكون زوجة واحدة، ووجدت لذلك مجالاً لما بقيت للرجل المتزوج ليأتي ليخطبها.

فهي قارنت بين أن تكون زوجة ثانية، أو لا زوجة، فاختارت أن تكون زوجة ثانية، أو اختارت أن تكون زوجة ثالثة، أو اختارت أن تكون زوجة رابعة.

إذن... فالذي جعلها ترجح سبب عندها، وليس عند من ينتقد، فلا تنتقد أنت لمختار أمر هو خير الأمور له.

لو لم يكن ذلك خير الأمور لها، وأنها قارنت بين مساوئ التعدد، وبين أن توجد بلا زوج، فوجدت أن تكون زوجة ثانية أو ثالثة أو رابعة خير من أن تكون لا زوجة.

فامرأة اختارت الخير لنفسها، فما فضول المجتمع في أن يتدخل.

الذي يتدخل ليمنع تقول له الثانية: هات لي زوجاً لأكون الأولى في حياته.

أو الثالثة: هات لي زوجاً لأكون الأولى في حياته.

أو الرابعة: هات لي زوجاً لأكون الأولى في حياته.

إذن يؤخذ بالحجة التي تلزمه، فلا يتدخل في أمر لا يعنيه.

ثم هل التعدد أمر ملزم فرضه الله، أم أمر مباح ؟!

الذي لا يعجبه أن يعدد لا يعدد.

ربنا لم يلزمني حتى أن أتزوج.

فإذا قدرت على أن أحمي أعراض الناس، وأعف نفسي، فلا أتزوج.

إذن... فالتعدد ليس فرضاً، وليس إلزاماً، وليس من لم يعدد آثماً، فمن رآه قبيحاً فلا يفعله: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء:٣].

إذن لم يبح الله للإنسان أن يعدد إلا إذا خاف أن لا يظلم، فإذا خاف أن يظلم، وخاف أن لا يعدل، فلا يتزوج الثانية.

إذن فيجب أن يؤخذ الحكم بكل ظروفه وبكل ملابساته.

هذا من ناحية المرأة.

ومن ناحية الرجل: الرجل حين يعدد معناه:

أن المرأة الأولى في حياته لم تكف طموحاته، وأي طموحات: عقلية، جنسية، اجتماعية، أهمها الجنسية، لأننا لم نرَ واحداً يتزوج زوجة ثانية لأنها مثقفة أكثر من الأولى، يمكن تكون أجمل، يمكن تكون أصغر، يمكن... لكن أغلبها الطموحات الجنسية.

رجل رأى في المرأة التي عنده، والتي تزوجها تحت ظروف خاصة

لم تعد تكفيه، ومادامت لم تعد تكفيه، فقد تكون له شراسة فيمن تكفيه، هذه الشراسة فيمن تكفيه لا توجد إلا في أعراض الغير.

أنسمح له أن يريح نفسه في أعراض الغير، ولا نسمح له أن يأتي بزوجة ثانية على مرأى ومسمع من الجميع، امرأة محسوبة عليه، وذريتها محسوبة عليه، وهي منه، وهو منها، كالأولى تماماً.

وكل إنسان محسوب عليه شيء، مسؤول أمام الجميع عن تبعات ذلك الشيء.

وإذا أبحنا له في طموحاته الجنسية ألا يتزوج حليلة، فقد نبيح له أن يتخذ خليلة.

إذن فالحلائل خير، أم الخلائل خير؟ !

هذا هو ما يجهد بال الغربيين الآن، لأنهم لا يحصرون الخليلات، ويوحدون الحليلة، والخليلات غير محصورات هناك، والنساء يعرفن ذلك جميعاً، ولذلك قالت المرأة الألمانية : «لأن أكون شريكة رجل مع عشر نساء، خير من أكون خليلة له، والخليلات فوق المئة » لماذا؟!

لأن هذا يكون قطاعاً محسوباً عليه.

فإذن التعدد ينظر إلى زواياه من كل ناحية: من ناحية الرجل، من ناحية المتعددة، ومن ناحية المتعدد عليها: أيطلقك حتى لا يتعدد ؟ !

أم تظلين معه ؟ !

كل امرأة عاقلة تقول: لا، أظل معه، وأكون شريكة لغيري.

اذن، فانظروا للتشريع من كل زاوية: في المتعددة، وفي المعدد، في المعدد عليها.

تشريع حكيم في كل زواياه، ولكن يجب أن نأخذ الحكمة من كل زواياها، فلا نأخذ شيئاً من الله، ونرد منه أشياء.

فردنا لشيء واحد مما شرع الله بجوار أخذنا شيئاً واحداً مما شرع الله.

الثانية تشوه الأولى، وتكون حجة علينا عند خصوم الإسلام.

لماذا يجامل الإسلام الرجل فيعدد له النساء، ولا يسوي المرأة بأن يعدد لها الرجال ؟ !

الجواب ما يأتي:

هل في بلادكم توجد أماكن ليريح الشباب فيها نفسه جنسياً ؟ !

فكان الجواب بالإيجاب.

فماذا احتطتم لصحة الأناس المترددين ؟

قالوا: إننا نكشف صحياً على هؤلاء الفتيات في كل أسبوع مرتين، وهناك مفاجآت لا نظام لها ولا رتابة، حتى نتأكد من الأمن الصحي للمترددين والمترددات من الرجال والنساء.

فقلت لهم: أفعلتم ذلك مع زوجاتكم ؟ !

فقوبل السؤال بدهشة، وكنا في بلجيكا، قوبل السؤال بدهشة، ولماذا نصنع ذلك في المتزوجات ؟ !

قلت لهم: صحياً.

قالوا: لم يحدث صحياً مثل هذا، إن الأمراض الخبيثة لا نراها في مثل هذه البيئات.

فقلت: أبحثتم عن حكمة ذلك ؟

فكان الجواب الذي نقله لي المترجم: إننا لم نبحث.

قلت: لاشك أنكم لم تبحثوا، لأنكم لم تجدوا تبعات تضطركم إلى البحث، ولو وجدتم تبعات في مسألة الزواج لاضطررتم إلى الحماية الصحية في الزوجات، كما اضطررتم إلى الفحص الصحي في النساء اللائي يتردد عليهن الرجال.

مسك الختام

وحلو الكلام في التعدد

○ من أراد التعدد وجد أولم يجد؟! بالطبع وجد.

○ الإنسانة التي رضيت أن تكون زوجة ثانية، لو كان عندها فرصة أن تكون زوجة أولى، هل كانت تقبل أن تكون زوجة ثانية ؟! بالطبع هي لم تجد فرصة أولى، لذلك قبلت أن تكون زوجة ثانية، بل ثالثة، ورابعة أحياناً، ورضيت بذلك ووافقت عليه بمحض اختيارها.

○ لو أن النساء تتساوى مع الرجال في العدد هل كان يوجد تعدد؟! بالطبع إذا كانوا متساوين فيكون لكل رجل زوجة واحدة.

إذن... التعدد ينشأ عن فائض، وهذا الفائض إن لم يصرف نكون أمام أمرين:

الأول: إما تعف المرأة فتكبت عواطفها، وحينئذ تكره تلك المرأة كل امرأة متزوجة.

والثاني: وإما أن تنفلت، وتتجه إلى تصريف رغبتها في الحرام.

○ ثم قضية التعدد هل هي الآن ظاهرة تستوجب كل هذا القصف الإعلامي، أم يستغلها المنفلتون من الدين ممن يسمون أنفسهم بجماعة التنوير (مناصرة المرأة)، وما هم إلا جماعة التجهيل، يحادون

الله ورسوله، ويجترئون على شرع الله تعالى، وهدي رسوله ﷺ لهوى في نفوسهم!!

- إن آخر ما وصلنا إليه من إحصائيات تقول:

نسبة التعدد بزوجتين هو ٣ ٪.

نسبة التعدد بثلاث زوجات هو واحد في الألف.

نسبة التعدد بأربع زوجات هو نصف في الألف.

- ومعلوم أن الغريزة الجنسية قوية في الإنسان، وهذا نبي الله يوسف عليه السلام ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الكريم ابن الكريم ابن الكريم، لما وضع في موقف أمام امرأة تراوده عن نفسها، ماذا فعل ؟! استعصم بالله تعالى وقال لربه: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف:٣٣].

فالرجل إذا لم تعدّ زوجته تكفيه لسبب من الأسباب، خاض في أعراض الناس ؟!

إن الجنس كلأ مباح عند من لا يتقيدون بمنهج الله تعالى، أما المؤمن بالله فهو دائماً يقف عند ما شرعه الله وأحله، فإذا كان الله تعالى شرع شيئاً وأحله، فكيف يحرمه هؤلاء الجهلانيون الذين يبيحون الخليلة وينكرون الحليلة.

إنني من خلال هذه الكلمات أهيب بفقهاء المسلمين أن يتصدوا لتلك الفئة الضالة، ويردوا كيدهم في نحورهم، ويبينوا للناس حكم الله في كل الأمور عامة، وهذا الأمر خاصة.

كما أوصي.. الرجال أن يختاروا صاحبة الدين التي تسلم لأمر ربها، وترضى بحكمه وشرعه، وتكون عوناً لزوجها، وإحصاناً له من أن يخوض في أعراض الناس.

كما أوصي نساء المؤمنين أن يكن كأمهاتهن وأسلافهن الصالحات العابدات التي كانت الواحدة منهن تخطب لزوجها، بل وتتبرع بليلتها لها، فهذا أشرف وأفضل من أن تكون زوجة لرجل ذي علاقات متعددة، أو بالمعنى المتعارف عليه الآن: « زير نساء».

احذر... وانتبه

فالدين لا يضيره إساءة بعض المسلمين في استغلال رخصة التعدد دون عدل، والإسلام يعلو ولا يعلى عليه، وهو الميزان الذي نزن به أفعال العباد وأقوالهم، فمن وافقه كان على حق، ومن خالفه وجب عليه أن يراجع نفسه، ويتوب إلى ربه، وكل إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ.

وعلاج الظلم والجور الذي يحدث من البعض إذا تزوج بأخرى لا يكون بمنع ما أباحه الله، وإنما يكون ذلك بالتعليم والتربية، وتفقيه الناس في أحكام الدين.

ولنعلم أن الضرر الحاصل من إباحة التعدد أخف من ضرر حظره ومنعه، والشرع قد أتى بارتكاب أخف الضررين إذا لم يمكن دفع كليهما.

- ونسوق لك بعض الأحكام المتعلقة بالتعدد حتى تكون منها على بينة:

١- يأثم الإنسان إذا تزوج على امرأته بقصد المغايظة فحسب، أو لمجرد الإضرار بها لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّۚ﴾ [الطلاق:٦]، ولقوله سبحانه: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ

نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة:٢٣١].

٢- الأولى أن يجعل لكل واحدة من نسائه مسكناً يأتيها فيه، لأنه أصون لهن وأستر، حتى لا يخرجن من بيوتهن.

٣- القسم عماده الليل، وله الخروج نهاراً لمعاشه، وقضاء حق الناس، والنبي ﷺ لم يكن يترك صلاة الجماعة لذلك ويخرج لما لابد له منه، فان أطال قضاه، وإن كان يسيراً فلا قضاء عليه

٤- إذا أعرس عند بكر، أقام عندها سبعاً، ثم دار، ولا يحتسب عليها بما أقام عندها، وان كانت ثيباً أقام عندها ثلاثاً، ثم دار ولا يحتسب عليه أيضاً بما أقام عندها.

عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أن رسول الله لما تزوج أم سلمة أقام عندها ثلاثا وقال: (**ليس بك على أهلك هوان إن شئت سبعت لك وان سبعت لك سبعت لنسائي**) [رواه مسلم]. وفي لفظ : (**إن شئت زدتك، ثم حاسبتك به، للبكر سبع، وللثيب ثلاث**).

قال ابن عبد البر: «الأحاديث المرفوعة في هذا الباب على ما قلناه، وليس مع من خالفنا حديث مرفوع، والحجة مع من أتى بالسنة».

٥- إذا أراد سفراً فلا يخرج معه منهن إلا بقرعة، فإذا قدم ابتدأ القسم بينهن.

كان النبي ﷺ إذا أردا سفراً أقرع بين نسائه، وأيتهن خرج سهمها

خرج بها معه [متفق عليه].

وقد صارت القرعة لعائشة، وحفصة[رواه البخاري].

والقرعة لا تجب عليه، وإنما تعين من تستحق التقديم من نسائه.

٦- ويجوز للمرأة أن تهب حقها من القسم لزوجها، أو لبعض ضرائرها، أو لهن جميعاً، ولا يجوز إلا برضى الزوج؛ لأن حقه في الاستمتاع بها لا يسقط إلا برضاه:

وقد وهبت سودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يومها لعائشة فكان النبي ﷺ يقسم لعائشة يومها ويوم سودة.

٧- فإن كان امرأتان في بلدين، فعليه العدل بينهما؛ لأنه اختار المباعدة فلا يسقط حقهما، وإن امتنعت من القدوم مع الإمكان سقط حقها لنشوزها.

٨- للرجل نقل زوجته حيث يشاء، إن كان ذلك سكنى مثلهن، وإن لم يكن لم يلزمهن إجابته؛ لأن عليهن في ذلك ضرراً.

٩- والمسلمة والكتابية سواء في القسم، ولا قسم على الرجل في ملك يمنيه.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾

[النساء:٣].

ولكـن إذا احتاجـت إلـى النكـاح، فعليـه إعفافهـا، إمـا بوطئهـا، أو تزويجها، أو بيعها.

١٠- إذا قسم لإحداهما، ثم طلق الأخرى قبل قسمها أثم؛ لأنه فوت حقها الواجب لها، فإن منعته أو أغلقت الباب دونه سقط حقها من القسم، ولا يقضى للناشز؛ لأنها أسقطت حقها.

١١- النهار يدخل في القسم تبعاً لليل؛ لقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (قبض رسول الله ﷺ في بيتي وفي يومي)، وإنما قبض النبي ﷺ نهاراً، فيتبع اليوم الليلة الماضية، فإذا نزل الرجل على الضرة ليلاً، ولم يلبث أن خرج لم يقض، وإن أقام، وبرئت المرأة المريضة قضى للأخرى من ليلتها.

١٢- يجوز له الذهاب نهاراً في يوم غيرها للحاجة، كدفع النفقة أو عيادة، أو سؤال لبعد عهده بها. وفي ذلك تقول السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كان رسول الله ﷺ يدخل عليَّ يوم غيري، فينال مني كل شيء إلا الجماع» وإذا دخل إليها لم يجامعها، ولم يُطل عندها، فإن أطال القيام قضى للأخرى.

١٣- يقسم المريض والعنين والخصي والمجبوب؛ لأن القسم للأنس؛ ولأن النبي ﷺ في مرضه جعل يدور على نسائه، ويقول:**(أين أنا غداً)**، فإن شق عليه استأذن لقوله ﷺ: **(إني لا أستطيع أن أدور بينكن،**

فإن رأيتن أن تأذنّ لي فأكون عند عائشة فعلتن)، فأذنّ له. وإن رفضن فالقرعة.

١٤- بل ويقسم للمريضة، والرتقاء، والحائض، والنفساء؛ لأن القصد الإيواء، والسكن، والأنس.

١٥- الوطء واجب على الرجل إذا لم يكن له عذر، ولا يصح تركه للإضرار، ويؤجر الرجل إذا أتى أهله، وليس له شهوة لقول النبي ﷺ: **(مباضعتك أهلك صدقة)**. وعندما اشتكت امرأة لعمر من زوجها لإضاعته حقها، قال له كعب:

تصيبها في أربع لمن عدل   فأعطها ذاك ودع عنك العلل

فاستحسن عمر قضاءه ورضيه.

وقضية عمر مع كعب بن سوار انتشرت فلم تنكر، فكانت إجماعاً - كما يقول ابن قدامة في المغني-.

ولأنه لو لم يكن لها فيه حق لما وجب استئذانها في العزل كالأمة.

١٦- إن سافر الرجل، ولم يكن له عذر مانع من الرجوع، فإن أحمد ذهب إلى توقيته بستة أشهر يراسله الحاكم، فإن أبى الرجوع فسخ نكاحه، وذلك بأن عمر ﷺ سأل حفصة أم المؤمنين فقال لها: كم تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت: خمسة أو ستة أشهر – وقضاء كعب- يُجعل يوم وليلة للمرأة، وله ثلاث أيام ولياليهن، وكأن معها ثلاث

نسوة.

١٧- يحرم الجمع بين المحارم في النسب والرضاعة، وقد نهى النبي ﷺ عن جماع المرأة على خالتها أو عمتها.

١٨- الرجل لا يسكن الثانية مع الأولى إلا بموافقتها، ولا يسكنهما في حجرة واحدة؛ لأن المرأة تحتاج أن تتزين، وفي وجود ضرتها معها في حجرته حرج شرعاً.

١٩- لله الحكمة البالغة في كل قول وفعل، وإباحة التعدد ليس استهانة بالمرأة، ولا تنقصاً من شأنها وقدرها، وإنما هو لمصلحة المرأة والرجل والمجتمع.

هذا والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الرياض ١٤٣١/٣/١٥ هـ

المؤلف

فؤاد صالح

ماجستير علاقات أسرية

جوال: ٠٥٢٣٦٦٠٦٩

الفهرس

مطابع الحميضي هاتف: 2130130 فاكس: 4387817

صدر للمؤلف

١. الحب والعاطفة للسعادة الزوجية الهادفه

٢. لمن يريد الزواج...... وتزوج

٣. نداء الرغبة وأغاريد الوصال(للرجل)

٤. نداء الرغبة وأغاريد الوصال(للمرأة)

٥. لا لتعدد الزوجات .. ولكن

تحت الطبع

٦. خطوات إيجابية للزواج الناجح

٧. مفتاح السعادة الزوجية الأبدية



ردمك: ١-٦٨٨٤-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

طابع الحميضي 2130130 ف 4387817